اطلع

من

نافوخي

أحمد الحداد

اسم الكتـاب : اطلـع مـن نافوخـي

التأليـــــف : أحمـد الحـداد

تصميم الغلاف : خـالد سميـر

إخـــراج فنـــي : عمرو وسالم سواح

رقم الإيـــداع : 2019 / 27950

الترقيم الدولي : 978-977-835-184-2

صـادر عـــن

زحـمة كتّـاب للنشـر والتوزيـع

١٥ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – القاهرة – مصر

Facebook : دار زحمة كتاب للنشر

Email : za7ma-kotab@hotmail.com

Tel : 002 01205100596

Tel : 002 01100662595

جميـــع

الحقـوق محفوظـــة للناشـر

كل الحقوق محفوظة

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة
بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

قبل أن تبدأ في قراءة هذا الكتاب

اذكر خمس شخصيات تود أن تقول لكل منهم "اطلع من نافوخي"

١- .....

٢- .....

٣- .....

٤- .....

٥- .....

احتفظ بهم ثم أعد كتابتهم مرةً أخرى بعد أن تنهي القراءة ولاحظ إن كنت ستغير بعض الشخصيات أم سيظلون كما هم.

- (الفصل الأول) -

حكايات من الكُشك

حمادة بتاع التليفونات

من الجميل أن قدر الله لي أن أعمل لبضع سنوات بشركة ذات اسم مرموق بمجال الأجهزة الإليكترونية والهواتف المحمولة.

والأجمل أن شاءت الأقدار أن يكون مكان عملي لفترة ليست بالقليلة في حديقة الشركة (سامع واحد بيسأل جنايني يعني؟) لا والله يا سيدي مش جنايني وإنما مسؤول مبيعات في محل صغير جدًّا مخصص لبيع منتجات الشركة للموظفين.

لن أخفي عليكم سرًّا أنني نُقِلت إلى هذا المكان تعنتًا من أحد المديرين بعد أن كنت مسؤولًا عن أحد أكبر فروع الشركة، ذلك لأنني لم أكن لقمة سائغة بحلقه ومبنزلهوش من زور، فلم أكن أجيد تقبيل الأيادي بالإضافة لظروف يعلمها الله وليس هذا بموضع لشرحها ونقاشها، وعليه فقد كان قرار نقلي لهذا المنفى بمبدأ "يندفن هنا لحد ما يتنسي".

ولأن الله بيقطع من هنا ويوصل من هنا، ولأنني قد نظرت لنص الكوباية المليان بعدما نزعت النظارة السوداء من فوق عيوني العسلية، فقد لاحظت عكس كل من سبقوني أن هذا المتجر الصغير يحتل بقعة سحرية في الشركة، فهو يتيح لي رؤية الغالبية العظمى من

العاملين بل والتعامل معهم يوميًّا مما أتاح لي فرصًا ذهبيةً للتعرف عليهم أثناء عمليات البيع والذي أثمر عن العديد من الصداقات.

هذا بالإضافة إلى أنه أتاح لي ميزة المتابعة عن بُعد، فتعلمت كيف تكون لغة الجسد لدى - البيزنس مان- وطريقة الوقوف والمناقشة والمحاورة ولغة العيون في إبداء الرأي وإنهاء التعاقدات وبناء علاقات البيزنس منذ بدأ تكوينها.

كما رأيت من العاملين من يقتنص من يومه عشر دقائق لاحتساء أي مشروب حتى يستطيع متابعة جبال العمل التي يحملها بأمانة على كتفيه، وآخرين يقضون يومهم في الأحاديث في ما ليس له قيمة وإلقاء النكات والعلو في الضحكات وطبعًا النميمة على خلق الله وأقصى مدة للعمل هي ساعة وكأن كافيتريا الشركة هي مقر عملهم الأساسي.

وبالرغم من أن عملي هذا لم يكن بالعمل المريح كما هو الحال في معظم الوظائف ببلدنا الحبيب ولكنه أتاح لي تعلم الكثير في كل مرة كنت أتحدث فيها مع الزملاء وذلك لاختلاف مستوياتهم ومراكزهم بالشركة واختلاف ثقافتهم وطبيعة نشأتهم أيضًا.

تعاملت بحب مع الجميع، وقررت أن أعمل بكل جهدي وأترك الباقي على العليم الرزاق، فاحتللت ثقةً كبيرةً في قلوب الكثير من

قيادات الشركة، وكان كل هذا سببًا في ترشيحي بعد ذلك لأتولى مركزًا مرموقًا جدًّا.

كانت تسعدني المسميات التي كانوا يطلقونها عليَّ أو ينادونني بها، فمنهم من يقول عني الـ Sales man اللي في الـ Booth ومنهم من يناديني أستاذ أحمد .. أبو حميد .. يا نجم .. يا شاعر وغيرها من الألقاب.

ولكنني لن أنسى أبدًا الزميلة التي قالت في هاتفها المحمول لصديقتها بصوت مسموع للجميع وبتلقائية تحسد عليها { أيوه يا حبيبتي.. أنا مستنياكي عند أحمد بتاع الكُشك . يا بنتي عند حمادة بتاع التليفونات}.

من هذا الكشك عِلم الكثير من الزملاء موهبتي بالشعر، أحبوا كلماتي وكانوا ينصتون لي ويشجعونني أيما تشجيع، ليأتيني مسؤول عن مجلة الشركة ويطلب مني أن أكتب مقالًا ينشر على صفحاتها، فخرجتْ للنور أول مقالة بقلمي وقد أثارت إعجاب كل من قرأها ويكفي أن أقول لك عزيزي القارئ أنها كانت بعنوان: (أحمد بتاع الكشك).. نعم هي نفس تلك السطور التي بين يديك الآن التي تختلف اختلافًا يسيرًا نظرًا لاختلاف الزمان واختلاف القارئ.

تعلمت من هذا الكشك أن العبرة ليست بالأماكن ولا بمظهرها، تعلمت أن رزق الله قد يأتيك من باب كنت تحسبه موصودًا لا يفتح، تعلمت أنّ أنسب رد على التعنت في العمل هو إتقان العمل، تعلمت من الكشك أن أي موضع يقدره الله لك هو موضع خير لا محاله، قد يكون مخفيًا عن ناظريك داخل خزينة الفرج الإلهية والتي يمكن أن تجدها بمجرد أن تشعل كشاف اسمه الإتقان (فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)، ومفتاح تلك الخزينة هو أشهر أنواع المفاتيح في التاريخ ألا وهو الصبر (فالصبر مفتاح الفرج).

رأيت داخل هذا الكشك التفسير العملي لقول الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فخوَّل الله مكانًا كان معدًّا كمقبرة إلى منبرٍ انطلقتُ من فوقه إلى النجاح.

وبالرغم من أنني الـ Sales manبتاع الـ Booth وأنا أيضًا وبلا فخر (حمادة بتاع التليفونات) إلا أن أكثر ما كان يسعدني هي ابتسامة الرضا التي كنت أحظى بها من أي منهم أثناء تعاملهم معي أو مناقشتهم لي في مقالاتي وأشعاري وكلمات التشجيع التي طالما أغدقوا عليَّ بها.

فتلك الابتسامة هي التي أعانتني على تحمل المصاعب والتغلب عليها، تلك الابتسامة التي شجعتني أن أستمر في كتاباتي وأشعاري، تلك الابتسامة كانت سببًا كبيرًا في أن يكون هذا الكتاب بين يديك الآن عزيزي القارئ، الابتسامة التي هي نعمة كبيرة أتمنى أن تكون ابتسامة حب في الله وأن أكون من الذين أحبهم ربهم فحبب فيهم خلقه.

لكل من شجعني يومًا بابتسامته الصادقة
أهديك هذا الكتاب

أحمد الحداد

***

أنا لست "روبوت"

عند الدخول على الكثير من المواقع الإليكترونية الآن فإنه من شروط المرور أن تقوم بعمل (mark) على رسالة تظهر لك مكتوب بها تلك العبارة "أنا لست روبوت"

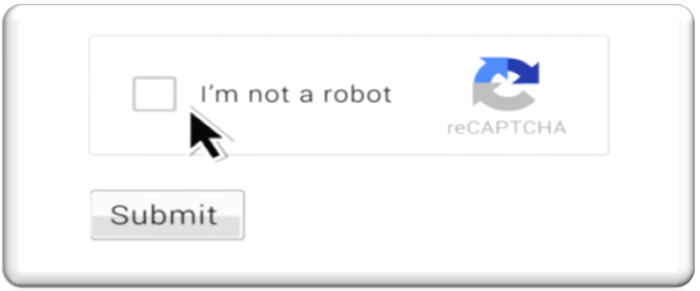

كم تمنيت أن تكون تلك الرسالة من شروط دخول كل موظف خدمة عملاء وكول سنتر إلى مقر عمله، فلا يحق لأحد منهم أن يجلس على مكتبه ولا أن يبدأ شغله إلا بعد عمل توقيع يومي على تلك الرسالة وأن يقسم ١٠٠ يمين على أنه من بني آدم وأنه لحم ودم مثلنا وليس ب "روبوت".

لا أعرف من هذا العبقري الذي قرر أن تكون اللهجة الرسمية لموظف خدمة العملاء سواء في التعامل المباشر أو من خلال الهواتف في (الكول سنتر) على هذا النحو من البرود في التعامل مع الزبائن.

لماذا يصرون أن يشعرونا أنهم ليسوا مثلنا من بني البشر، وأن أفضل طرق التواصل مع الزبون هو ارتداء الوش الخشب وأن يرسم على شفتيه ابتسامةً صفراء باهتٌ لونها تستفز الناظرين.

من المفترض أن يكون موظف خدمة العملاء هو حلقة الوصل ما بين العميل والشركة، لذا فإنه يجب أن تكون العلاقة فيما بينهما هي علاقة يسودها الثقة ومغلفة بالود والاحترام المتبادل، فالعميل يجب أن يعرف أن هذا الموظف هو أسرع الطرق وأسهلها لتوصيل شكواه إلى المسؤولين بالشركة وجلب حقوقه كاملة.

بينما على موظف خدمة العملاء أن يكون على علم بأنه قد اختير لهذا المنصب ليكون في خدمة زبائن الشركة الكرام.

أعلم أن موظف خدمة العملاء مطالب بمقابلة أكبر عدد من الزبائن وسماع شكواهم الرتيبة والمتكررة وحل مشاكلهم في أقل وقت ممكن فـ (تارجتك يا أستاذ إنك تخلص على ١٥٠ راس في اليوم) أو على قول مدير آخر (العميل ما ياخدش منك أكتر من ٥ دقايق وبعدين تقلبه).

هكذا المبدأ، لذا فاعلم عزيزي العميل أنك غير مرحب بك إذا كنت تظن نفسك داخل عيادة للطب النفسي لتتحدث عن طفولتك وخناقاتك المستمرة مع المدام وحماتك المصون، فقط قُل شكواك في عجالة وارحل في سلام.

واعلم أيضًا عزيزي خادم العملاء أن الكثير من الزبائن مملون إلى حد كبير ومشاغبون أيضًا. فمنهم من يعتقدون أن حقهم لن يأتي إلا بالصوت العالي منذ البداية (خدوهم بالصوت ليغلبوكوا) ومهما كان مخطئًا، والخطأ راكبه من ساسه لراسه فلا ضير من بعض المقاوحة والمشاغبة واللف والدوران لأن (الزبون دايمًا على حق) حتى ولو كان مخطئًا. ومنهم المتوتر بشدة ويشعر أن مشكلته التافهة هي مسألة حياة أو موت وأنه الوحيد في هذا العالم الذي يعاني تلك المشكلة. هذا بالإضافة للعميل الجاهل والذي لا يعترف بجهله بالأشياء "فيعمل ناصح" ويبدأ الفتاوى والفذلكة.

أتذكر يومًا جاء عميل لكي يستلم هاتفه المحمول بعد أن تم إصلاحه، فسأل زميلنا: "هو كان فيه إيه؟"

- كان محتاج سوفت وير بس يا فندم، وإحنا غيرناه خلاص.
- طب لو سمحت كنت عايز السوفت وير القديم.
- يا فندم دا سوفت وير ... البرنامج يعني.
- طب كنت محتاجه بس علشان بحب أحتفظ بالقطع القديمة.

لم يجد زميلنا حلًّا سوى أن أشار إلى جملة مكتوبة على ظهر إيصال الاستلام مكتوب عليها "القطع المستبدلة لا ترد للعميل نظراً للتخلص منها بطريقة آمنة لا تضر البيئة" .. فأشار العميل تفهمه

وتأسف على عدم قراءة التعليمات وقرر أخيرًا أن يترك لنا السوفت وير القديم علشان نعدمه.

وهناك عميل آخر قد تبهرك اهتماماته مثل ذلك العميل الذي اقتحم علينا الفرع وهو يصرخ بكل انفعال "القرد مابيتنطتش .. القرد مابيتنطتش"، بالطبع اعتقدنا أننا أمام الجزء الثاني من فيلم جري الوحوش للفنان محمود عبد العزيز، ولكن سرعان ما اكتشفنا أن العميل يواجه مشكله حقيقية، فإن لعبة القرد الذي يقفز فوق بعض البلاطات المتحركة يأتي إلى مستوًى معين ولا يستجيب للأزرار ولا يقفز وبالتالي يسقط وتنتهي اللعبة ويخسر العميل هذا "الإسكور" العظيم الذي حققه. طب بذمتك ترضاها أنت على نفسك ولا على حد من اخواتك يا كبتشين؟!!

صحيح أنه خطأ صغير وتافه في (السوفت وير) جعل القرد مابيتنطتش ولكنه في نفس الوقت جعل العميل يتنطط وعفاريت الدنيا تتنطط في وشه فجاء إلى الفرع وبدأ يتنطط علينا وعلى اللي خلفونا.

ولكن وبالرغم من كل ما سبق ذكره يظل السؤال مطروحًا .. هل تلك الطريقة الروبوتية في الحديث التي لا روح فيها هي بالفعل أفضل الطرق في معاملة الزبائن؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل دعني أولًا أحكي لك قصتين حقيقيتين قد وقعتا في الماضي القريب.

١- (غسالة العريس)

يملأ صفحة الشركة على الفيس بوك بكومنتات مليئة بالسباب والشتائم، يتهمهم بالتجاهل وعدم احترام العميل، بدأ في كسب تعاطف المارين على البوستات الدعائية فبدأوا مؤازرته في محنته.

الجميع يرى أن لديه حق، فهو عريس جديد اكتشف عطلًا بغسالته (الفول أوتوماتيك) يوم صباحيته، تلك الغسالة التي اشتراها مسبقًا من (الويب سايت) الخاص بتلك الشركة العريقة لتحتل مكانها المرموق في قائمة العروسة، اتصَل كثيرًا بالوكيل وبعد ثلاثة أيام من المحاولات يتم الرد من خدمة العملاء مؤكدين له أنه ما زال في خلال فترة الـ١٤ يومًا من تاريخ الشراء وعليه فإنه من حقه التبديل من الموزع لا من الوكيل، مر أكثر من ٣ أيام أخرى مع خدمة عملاء الشركة التي اشترى منها دون حل سريع والعروسان ينهيان أسبوعهما الأول بدون غسيل (ولك أن تتخيل).

وصلت الكومنتات المتتالية لدى المسؤول عن هذا الموقع الإليكتروني والذي طلب من موظفيه أن يتصلوا بالعميل ومعرفة أبعاد المشكلة، ذلك الطلب الذي قوبل بالرفض من جميع موظفيه

والسبب كان درجة الانفعال التي وصل إليها العميل حتى أن أحدهم قال: "العميل عمال يسب ويلعن وأنا لسا هتصل أقوله خير يا فندم .. دا هيقول لي أبو الفندم على أم الفندم وهيسبلي بكل اللغات".

قرر المسؤول عن الموقع الاتصال بالعميل بنفسه أمام موظفيه.

- السلام عليكم يا عريس.

- .....

- أنا مدير الويب سايت اللي حضرتك عمال تطرقعله م الصبح على الفيس.

- .....

- هههههههه، لا طبعًا يا عريس ما يرضيناش.

- .....

- فاهم طبعًا ... وطبعًا راحتك تهمنا يا عريس والتوتر مش حلو دلوقتي خالص.

- .....

- هههههه لا لا ولا يهمك .. النهارده الغسالة هتتغير ومعاها هدية صغيرة كده، بس دا علشان انت غالي عندنا.

- .....

- صحيح يا عريس .. ما تنساش بقى تقول للناس إن الراجل اللي أنت بتشتمه من الصبح خاف منك واتصل يصالحك وهو بيرتعش من الخوف ... أنا بترعش أهوه يا عريس.

ثم فتح الاسبيكر ليسمع الجميع صوت العميل

- "يا فندم أنت أحسن مدير في الدنيا وهتشوف أحلى كومنتات دلوقتي وأنا اللي آسف وحقك على راسي".

انتهت المكالمة بنظرة اندهاش من الجميع، ولم يقطع الصمت سوى سؤال واحد فقط أطلقه أحد العاملين والذي رفض سابقًا الاتصال بالعميل "عملتها ازاي دي يا .....؟!!".

(مكان النقط مش شتيمة خالص دا اسم المسؤول)

** قبلها بحوالي ٥ سنوات

٢- (الرُكن الحنين)

في أحد الأيام تعالت الأصوات داخل الفرع المخصص للشكاوى من عميلة ترى أن لديها حق مهدور، ثائرة بشكل غير عادي ولم يجدِ معها تعامل الزملاء واحدًا تلو الآخر فما استطاع أحد أن يهدئ من ثورتها، طلب مدير الفرع أن يستقبلها بمكتبه، وما مرت دقائق قليلة حتى عادت الثورة مرةً أخرى وزاد طوفان الغضب وتعالى صياح العميلة مختلطًا بالشتائم بطريقة خرجت عن حدود الشياكة التي تدل

عليها ملابسها، وأصول اللباقة التي تشع بها ملامحها وانهالت الاتهامات بالنصب والاحتيال على كل من بالفرع مما اضطر الزملاء لرفع صوتهم تجاهها والتعامل معها بحدة وكادت تشتعل الأمور وتصل إلى التشابك بالأيدي.

وقتها همس رجل الأمن للمدير وقد أشار بخبث على آخر (برتيشن) بالمكان حيث يقطن الموظف الوحيد الذي لم يتعامل مع تلك الثائرة وظل يتعامل مع باقي العملاء المنتظرين دورهم في هدوء وقال:

- "وديها للركن الحنين يا باشا".
- يعني كلنا مش قادرين عليها وهو الفتك اللي هنا يعني؟
- يا باشا بقولك دا الركن الحنين، استنى بس وأنا هتصرف.

قام موظف الأمن بتوجيه العميلة إلى هذا الموظف ثم بعد مرور أقل من عشر دقائق فوجئ الجميع بمغادرة العميلة للمكان وهي تتأسف على ثورتها وابتسامتها تملأ وجهها.

وسط تعجب الزملاء بالفرع مما حدث، مر رجل الأمن منتشياً من أمام مدير الفرع قائلًا:

- "مش قولتلكوا مافيش غير الركن الحنين اللي هيخلص".
- وعرفت ازاي يا ناصح؟!

- يا باشا دا بيعمل للعميل تنويم مغناطيسي، العميل يجيله بيقول يا شر اشتر وبيطلع من عنده وهو عايز ياخدنا بالحضن.

صاح المدير: أستاذ (.....) لو سمحت تعالالي ع المكتب.

- نعم يا مدير.

- أنت عملت إيه مع العميلة دي؟

- عملت معاها زي ما عملت مع غيرها، سمعتها كويس وشرحت لها الموقف وتفهمِت الموضوع وخلاص.

- طب ما كلنا عملنا كدا معاها ومع أمثالها، إيه الجديد؟

- دا سر المهنة بقا يا مدير.

- إوعى تكون بتوعدهم بالجواز يا .....

- عيب، دا فيه منهم رجالة وأنا ما ليش في الرجالة يا مدير هههههه.

(برضه مكان النقط مش شتيمة دا اسم الموظف)

الآن عزيزي القارئ وبعد أن انتهيت من القصتين يمكنك أن تعود وتخط مكان النقاط في القصتين كلمة حداد .. (دا لو الكتاب بتاعك طبعًا).

نعم عزيزي القارئ .. هذا المسؤول وذاك الموظف في القصتين هو نفس كاتب تلك السطور التي تقرؤها الآن.

لقد عملت من قبل في مجال خدمة العملاء لمدة ليست بالقليلة تجاوزت ثمانية أعوام داخل شركة من الشركات الرائدة في مجال الإليكترونيات والمحمول في مصر، فمن خلال تجربتي واحتكاكي بهذا المجال لكل تلك السنوات لم أشعر يومًا بالراحة مع هذا الريتم الإليكتروني في الكلام مع العملاء، فالعميل دومًا يحب أن يشعر أنك تشعر به وبمعاناته، وهو ما لا يجده مع ذلك الوجه البلاستيكي لموظفي خدمة العملاء والمغطى بابتسامة لا طعم لها ولا في طريقة الحديث الروبوتية التي لا تنم عن أي تفهم لأوجاع العميل.

العميل مثل المريض يشعر دائمًا أنه الوحيد في العالم الذي يصاب بهذا المرض، بينما موظف خدمة العملاء مثل الدكتور، تتكرر الشكاوى على مسامعه مئات المرات وبدوره يحدد المشكلة من أول كلمتين فيقاطع العميل وينهي الحديث لأنه لا داعي لتضيع الوقت فقد علمت شكواك.

هنا يشعر العميل بالإهانة والتقصير في حقه فهو يريد أن يشكو جرحه وآلامه من ذلك الجهاز الذي تعطل فجأةً وقد كان (صاحي وبيلعب) كما يقول بائعو السمك، كما أنه يحتاج أن يشعر أن من يشكو له يعيش نفس حالاته ويشعر بنفس آلامه.

لذا عزيزي الموظف اترك للعميل مساحة التحدث والتعبير عما بداخله ولا تقاطعه حتى لا يغضب. (وهو ما فعلته مع القصة الثانية مع العميلة الثائرة ولم يفهم مديري معنى كلمتي "سمعتها كويس" مش سمعتها وخلاص) لذا تحدث مع عميلك بلغته وبلهجته حتى تكسب ودّه (وهو ما قمت بعمله مع العميل في القصة الأولى) ذلك العريس الذي كان قد مل من سماع الجمل المتكررة مثل (أهلا بحضرتك يا فندم .. لحظات معايا نراجع بعض البيانات .. لحظات معايا ع الويتنج أحولك للقسم المختص) وبالطبع تلك اللحظات ع الويتنج تستمر لنصف ساعة وأكثر وكأن موظف هذا القسم المختص موجود في كوكب زحل وليس ع الكمبيوتر اللي جنبه.

والآن عزيزي القارئ (سواء كنت عميلًا غلبانًا أو موظفًا هلكانًا) هل أدلك على سر إن فعلته كسبت تعاطف من أمامك ويسرت عليه وعلى نفسك طريقًا طويلًا ومشاحنات نحن في غنًى عنها؟

ذات يومٍ جاءني شيخٌ كبير في السن كان قد سلّم هاتفه المحمول بين يدي وقد أخذت أسجل بياناته وأنا بهذا الوجه والمعالم التي تعرفونها جيدًا عن موظف خدمة العملاء، لم أكن أقصد إهانته ولكن التركيز في ملء البيانات مع السرعة المطلوبة جعلت ملامح وجهي متجمدة

حتى وأنا أسأل العميل عن شكواه، وإذ بالشيخ قد قطع الحوار وهو يدقق النظر بملامح وجهي قائلًا: "هو انت ما بتضحكش؟!".

تلقائيًّا نتيجة لغرابة السؤال ابتسمت من قلبي فاستطرد الشيخ:

- "الله ... وشك نوَّر لما ضحكت .. ليه تحرم نفسك وتحرم الناس من نعمة ربنا ادهالك ممكن تطمن بيها قلوبهم .. وشك البشوش دا نعمة يا ابني وابتسامتك في وش الناس صدقة، ربنا يجازيك بيها خير ويديمها عليك".

بالطبع شكرته جدًّا على نصيحته ومن تلك اللحظة بدأت أراجع نفسي وأتساءل:

ما كل تلك النشوة التي تمتلكنا نحن الموظفين عندما نستفز عملاءنا بابتسامتنا الحمقاء؟! لماذا نبتسم في وجه العميل المكلوم وهو يتنطط ويتشقلب من فرط الغضب؟! ألم تكن السعادة وقت احتواء العميل ومساعدته أطعم بكثير؟! ألم تكن دعواتهم لنا حافزًا مشجعًا للاستمرار ومعالجًا روحانيًّا طاردًا لكل التعب الذي نلاقيه طوال اليوم؟

يومها قررت أن أغير أسلوبي تمامًا مع كل عملائي، منذ تلك اللحظة وابتسامتي تستقبل كل عملائي (مش المزز بس) وكأنهم ضيوف بيتي الخاص، من يومها وابتسامتي تسبقني إليهم ولكنها ابتسامة مختلفة عن تلك التي قد تعودت أن تراها هناك، فابتسامتي

كانت ابتسامةً حقيقةً من القلب وليست تلك الابتسامة الصفراء المستفزة.

اكتشفت مع التجربة أن الابتسامة (الحقيقية) لها تأثير السحر على العميل، فهي تسيطر على الغضب وتقلل من توتر العميل الذي كان على أهبة الاستعداد للاشتعال، فالعميل قد أتى وهو يعلم جيدًا تلك العبارات الريبوتية التي سوف تُلقَى على مسامع سعادته مع عبارة (*اطلع من نافوخي*) التي تطل من عيني ذلك الوجه الممسوخ، لذا فإن ذبذبات الصراخ قد تحرك ساكنًا في هذا البحر الميت.

ولكن عندما يجد العميل في استقباله روحًا حقيقية وابتسامة من القلب، فلا يجد مبررًا لتحفظه وتخوفه وينتهي الأمر.

عجيب أمر الابتسامة، إن رسمتها لحبيبٍ شعر بالراحة، وإن رسمتها لغريبٍ شعر بالأُنس، وإن رسمتها لعدوٍّ شعر بالندم، وإن رسمتها لمن لا تعرفه أصبحت صدقةً لك وإن رسمتها لنفسك ازددت قوةً وجمالًا في أعين الآخرين.

قال نبينا الكريم محمد (ﷺ) " إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق " [رواه مسلم]

ابتسموا ... أثابكم الله.

***

أنت مش زبالة يا سعيد

"يا نهار أسود! أنت اتجننت يا ابنى! هو دا مشروع تعمله برضه! وأنا اللي كنت فكراه حمَّام مغربي وساونا والحاجات الغريبة اللي طالعة موضة دي وفي الآخر يطلع حمَّام بجد!! طب لما اروح اخطبلك وحماك يسألني ابنك بيشتغل إيه يا حاجة أقوله إيه؟ أقوله عامل مشروع حمَّامات .. طب أقولك ما تخليه محل من بتوع كل حاجة بـ٢.٥ وسمِّيه حمَّام التلات".

أمي الحبيبة-٢٠٠٣

لماذا يستغرب الناس من مشروعي وحلم عمري، ولماذا يصر كل من أقوم باستشارته على الزج بي تجاه مشروعات بعينها، فهذا أبي يريدني أن أفتح محل مأكولات لأن الناس مش هتبطل تأكل، وهذه أمي تريده محلًا للأدوات المنزلية لأن الناس مش هتبطل تطبخ، بينما خالتي تريده محل ملابس لأن الناس مش هتبطل تلبس، وأختي تصر أن الأفضل هو محلات الإكسسوار علشان البنات مش هتبطل هيافة، بينما جارنا العزيز يفضل أن يكون المحل سنترالًا لأن الناس مش هتبطل كلام، وصديق العمر يرى أن أفضل المشروعات هي الكافية أو القهوة لأن الناس مش هتبطل بطالة ولو اتعدل حال البلد وكل الناس اشتغلت فبكل تأكيد الأزواج مش هيبطلوا يطفشوا من وشوش مراتاتهم ويتلموا ع القهوة أمام مباريات الطاولة الشيقة.

إذن الجميع برغم اختلاف أفكارهم إلا أنهم جميعًا اشتركوا في نفس المبدأ وبنوا آراءهم على نفس الأساس الذي انطلقت منه اقتراحاتهم ألا وهي مقولة " الناس مش هتبطل تـ ...."

إذن؛ ما دام نجاح أي مشروع قائمًا على انطلاقه من هذه النقطة فلماذا كل هذا الاستغراب من مشروع الحمَّامات الذي أريده ما دام قادمًا من نفس المدرسة ومبنيًّا على نفس الأساس لأنه وبكل تأكيد برضه الناس مش هتبطل تعمل بيبي.

على الأقل مشروعي مباشر وواضح ولا يحمل أكثر من معنى مثل مشاريعهم، ما هو الناس مش هتبطل تتكلم (على غيرها) ولا هتبطل تأكل (مقالب م اللي افتكرناهم في ظهرنا) ولا هتبطل تشرب (المر من كيعانها بسبب الروتين وطوابيره) ولا هتبطل تلبس (أسافين من زمايلها في الشغل) - لكن في مشروعي بكل وضوح وبساطة الناس مش هتبطل تعمل بيبي وخلاص.

صدقني عزيزي القارئ الموضوع مش تافه ولا مضحك زي ما وصل لمخيلتك دلوقتي، دا مشروع مهم جدًّا وإنساني من الدرجة الأولى ويمس كرامة الإنسان بشكل كبير.

أي دولة تلك التي يمكن أن تدعي أنها دولة متقدمة وبول أبنائها يرسم التجاعيد على حوائط شوارعها وزوايا حاراتها؟

بالطبع أنت توافقني في الرأي وستحدثني عن الاشمئزاز وعن تخلف هؤلاء الذين يفعلون ذلك في الشوارع بينما تتحفنا باقتراحك العبقري "ما يستنوا لحد لما يروَّحوا بدل ما يقرفونا".

إذا كنت متزوجًا وتعول فكم من مرة عزيزي القارئ استوقفت سيارتك بجانب الطريق ليقضي أطفالك حاجتهم بعد إعلانهم الثورة داخل السيارة وهتافهم في صرصور ودنك "بابي عايزين نعمل بيبّي .. بابي عايزين نعمل بيبّي" ذلك الهتاف وتلك المطالب المشروعة التي دائمًا ما تأتي في غير وقتها، وكم من مرة عزيزتي القارئة طلبتِ من

العاملين بالمحلات استخدام حمامتهم من أجل طفلتك التي فاجأها نداء الطبيعة، تلك الحمامات التي دائمًا ما تجدينها مغلقة للصيانة، مما يضطركِ أن تخفيها بين السيارات المركونة لكي ترحمي مثانتها الضعيفة التي لم يكتمل نموها بعد وبالتالي لم تصل لغايتها في التحمل.

أما إذا تغاضيتِ عن الأطفال في عتابك، بينما ألصقته على جبين كبار السن فيبدوا أنك لا تعرف شيئًا عن أعراض مرض ضغط الدم ومن قبله أعراض مرض البول السكري أو مرض السكر، فإن كنت عزيزي القارئ من المحظوظين القلائل في بلدنا الذين لم يحملوا هذين المرضين (أحدهما أو كليهما) فبالتأكيد أنك تعرف معنى أن يصيبك دور إسهال شديد وأنت بعيد عن البيت.

هل تخيلت يومًا نفسك تأخذ أسرتك الجميلة في رحلة إلى مصارف المجاري، أو جاء في مخيلتك أن تعرض مثل هذه الفكرة يومًا على أسرتك بوجه يعلوه التفاؤل والسعادة "يا ولاد عندي ليكوا مفاجأة .. النهارده هفسحكوا في المجاري .. هيييييه". بالتأكيد أنت تعرف جيدًا ردود الأفعال أو ما سوف يدور في الرؤوس عن حالتك الذهنية.

هناك في لندن نصب تذكاري مشهور وبه تمثال صنع خِصِّيصَى للسيد جوزيف بازلجيت (Joseph bazalgette) مخترع نظام الصرف الصحي بلندن، ذلك الشخص الذي يعده البريطانيون أعظم

من قدم خدمة للبشرية بل ويطلقون عليه أيضًا (الرجل الذي انقذ لندن من نفسها).

ذلك أن هذا الرجل كان من أهم إنجازاته إنشاء شبكة للصرف الصحي في وسط لندن كان لها دور أساسي في حماية المدينة من أوبئة الكوليرا. كان ذلك منذ أكثر من ١٥٠ سنة مضت، وهم الآن يحتفلون بتلك الشبكة العملاقة التي يعتبرونها أنها أنقذت لندن من عصر هم سموه (عصر النتانة) إلى عصر التقدم وأصبحت مزارًا سياحيًّا ليرى الناس كيف تغلبوا على المرض والتخلف بهذه الشبكة العملاقة عن طريق هذا المهندس العظيم بل وأصبح جزءًا يدرس في المناهج هناك.

ونحن أصحاب الحضارات العظام ما زال لدينا قرى تعيش في مستنقعات المجاري ولا يوجد أي نظام صرف بل هناك من تختلط مياه الشرب بها أيضًا ولا تحدثني عن أعداد المرضى بالفشل الكلوي والكبد (العدد في الليمون).

منذ ١٥٠ عامًا ولندن تفتخر بنظام الصرف الصحي لديها ولازلنا هنا نغرق في شبر مية مع كل شوية مطرة، فلا نظام ولا صرف ولا صحة. بل إننا لا نملك كبائن الستر لمن يقضون الحاجة حتى وإن كانت لا مؤاخذة على طرنشات.

أي كرامة تلك وأي تقدم نبحث عنه ونحن نترك مرضى السكر (شفاهم الله) يتعرضون لأقصى الإحراج وهم يبولون على أنفسهم في الشوارع بعد أن غلبتهم الحاجة، أي تقدم هذا بينما تجد سيدة في عمر والدتك تخفي نفسها مضطربةً بين السيارات المركونة لكي تقضي حاجتها لأنها لم تجد مكانًا آدميًّا يسترها ويعزز كرامتها حتى وإن كان نظير أجر.

ستظل عزيزي القارئ تشمئز وتلعن كل من يفعل ذلك ويظلون في نظرك – ناس زبالة - حتى يصيبك ما أصابهم فلا تجد مفرًّا من أن تكون زبالة مثلهم رغمًا عن أنفك، تمامًا كما حدث في فيلم (عسل أسود) عندما استنكر الفنان أحمد حلمي على إدوارد تبوله في الشارع قائلًا "أنت زبالة يا سعيد" وما إن أصيب بالحاجة حتى فعل فعلته وهو في قمة توتره.

مشروعي الذي استغربوه واستهزأوا به هو مشروع الآدمية والكرامة، المشروع الذي يريد إنقاذًا للمرضى وعطفًا على الصغار وسترًا لكبار السن. مشروعي هو المشروع الذي سيعيد الثقة لك وسيجعلك سائرًا بلا خوف من الطارئ ويكفيك فخرًا أنه لن يأتي يومٌ ويقول لك أحدهم "أنت زبالة يا سعيد" علشان أنت ما تستحقش كده.

عزيزي المقبل على إقامة مشروع جديد، لا تخجل من مشروعك ما دام مفيدًا للناس ولا يُغضِب الله تعالى.. ولا تشغل بالك بالمنتقدين، وإذا كنت ممن يحبون السير وراء مبدأ "الناس مش هتبطل تفعل كذا"، فاعلم أنك بالفعل على خطى النجاح لأن "الناس مش هتبطل تنتقد ولا تفتي" مهما كان مشروعك ومهما كان هدفه، ولذلك لا تنشغل بهم قيد أنملة، واللي يقول لك أصل المشروع بتاعك مش شيك أو ستايل .. قوله "اطلع من نافوخي".

***

هي بقت كده ؟!

من قال إن كل التكنولوجيا جيدة، وأن التقدم التكنولوجي دومًا ما يرسم عيونًا أجمل على وجه الحياة، إذا كنت ممن يصدقون فاحذر، فكم من مرة رسمت عيونًا ثم "جيت تكحلها عميتها".

داخل الشركة التي كنت أعمل بها نظام اتصالات داخلية متقدمة تمكنك من البحث عمن تريد الاتصال به عن طريق الاسم إن لم تكن من هواة حفظ الأرقام. هذا "الأوبشن" رائع بكل تأكيد ولكنه كاد أن يكون سببًا في رفدي وطردي من الشركة ضربًا بالشلاليت غير مأسوفٍ عليّ.

منذ سنوات جاءني (شريف) أحد زملاء العمل ولكن بقسم آخر يطلب مني تصميم كارت دعوة فرحِه كي يرسله في الشغل ع الإيميل للزملاء.

كنت منشغلًا جدًّا ولكن بعد إلحاح شديد وافقت على الطلب شرط أن يترك لي مهلةً كي أستطيع عمل التصميم.

وافق على الفور وترك صورته والبيانات المطلوب نشرها واتفقنا أن أتصل به بعد انتهاء التصميم لكي يرسل لي صورة العروسة حتى يتم وضعها بجوار صورته على الدعوة.

بعد أن انتهيت من التصميم اكتشفت أنني لا أملك رقم هاتفه المحمول فقمت بعمل بحث على التليفونات الداخلية باسمه الذي لم أجد صعوبةً في الحصول عليه.

ولكن لـ(سوء الحظ) أن اسمه يتشابه مع اسم مدير كبير وعضو مجلس إدارة بالشركة وبالتالي كان المدير هو الأولى في التسجيل على السيستم.

اتصلت بالرقم وطبعًا اسمي ظهر لهذا المدير بينما بدأت كلامي بنبرة يشوبها الزهق "أيوا يا عم شريف".

سكت برهه كمن يتأكد من النبرة ثم رد "أيوا يا أحمد .. خير؟"

- بص أنا جيبت آخري وخلصت.
- طب في إيه بس؟ أنا مش فاهم.
- يا عم ما فيش ابعت لي صورتها وخلاص.
- هي مين دي اللي ابعت لك صورتها؟
- مراتك.
- نعم.. هي بقت كده؟
- بقت كده إيه يا عم ما تخلص.
- أخلص إيه .. أنت هتستعبط؟!!
- مش انت اللي قلت لي أعمل لها؟!
- تعمل لها!!!! ... تعملها إيه؟!!

- زي ما عملت لك يا عم.. خلصت منك وفاضل هيَّا.

- يا نهاااار اسود .. دا انت واخدنا بالدور بقى!!

- والله دا انا تعبت قوي.. بس هتتبسطوا آخر انبساط.

- كمان هننبسط... طيب بص بكل هدوء كدا علشان فيه ناس هترفد وفيه بيوت هتتخرب دلوقتي.. انت مين وعايز إيه؟

هنا بقا بدأت أستوعب أن دا مش صوت شريف صاحبي فسألت بصوت متردد: "انت مين؟ .. مش انت شريف بتاع الصيانة؟".

- لأ ... أنا المهندس شريف عضو مجلس الإدارة.

- متأسف جدًّا يا باشمهندس.. أصل حضرتك.. أصلها.. أصلهم.. ربنا يخلي لك المدام دي ست محترمة جدًّا والله.. دي ست زي الفل.. بص هو أصل يعني سلامو عليكو.

أغلقت السماعة رازعًا إياها بينما كل زمايلي على الأرض من الضحك إلا مديري الذي كان مضطرًا أن يمسك نفسه من أجل أن يلحق بالمهندس شريف لكي يشرح له سوء التفاهم اللي حصل قبل ما قرار رفدي يتمضي في القسم مع محضر القذف.

لذا عزيزي القارئ إياك أن تستسهل استخدام أي تكنولوجيا جديدة قبل أن تتأكد تمامًا مما تريد فعله وقبل أن تتأكد من عواقبها وخاصة لو كان في الشغل عضو مجلس إدارة اسمه شريف.

أو أقول لك الأسهل .. إذا طلب أحدهم خدمة وقت ضغط الشغل فلا تستجِب له ما دام هو أصلًا لم يقدر الضغط الذي عليك وقل له بملء فيك *"اطلع من نافوخي"*.

***

الزوج يريد إسقاط الفلانتاين

قررت زوجتي الحبيبة أن تحتفل بعيد الحب (الفلانتاين) لهذا العام، فأعدت العدة وجهزت المجاهيز، وكل هذا دون أن أدري ليكون الأمر على سبيل المفاجأة.

عند عودتي من العمل وبمجرد وصولي إلى باب شقتي ما لبثت أن أضع المفتاح بالباب حتى وجدته يفتح وحده (توموتيكي توموتيكي)، وإذ بزوجتي الحبيبة تستقبلني وهي مبتسمة ابتسامة عريضة على غير المعتاد، ثم بسرعة فائقة تُحسَد عليها من رجال الأمن الوطني استطاعت أن تتأبطني وتسحبني إلى داخل عش الزوجية (السعيد طبعًا) ثم أوقفتني وسط الريسبشن وقالت بنبرة دلع قد فارقتْنا منذ أسبوع العسل: "كل سنة وأنت طيب يا حبيبي".

فنظرت لها باندهاش قائلًا: "وانت بالصحة والسلامة يا ست الكل بس على إيه؟" .. ثم أكملت بصوت يشبه علي ربيع وأنا أتلفَّت حولي: "وموقفاني هنا ليه كده؟ .. إوعي يكون اللي في بالي صح وهتوقعي عليَّ النجفة يا ولية".

رفعت حاجبها وبدأت معالم وجهها تتغير بعض الشيء وقالت: "ولية!! – ماتبقاش سوفاج - نجفة إيه اللي هوقعها عليك؟!"

- ربنا يخليكي يا حبيبتي، ما هو دا العشم برضه.

فاستطردت بحدة: "أنت عارف النجفة دي بكام؟" .. قالتها ثم أخذت نفسًا عميقًا عادت بعده لهدوئها وابتسامتها غير المعتادة متوسدةً صدري ومتدلعةً ثم قالت: "قول لي يا حمادة .. هو النهارده إيه؟".

بعد تفكير أجبتها: "النهارده التلات".

فدفعتني عنها ووضعت يدها في وسطها وتهززت: (كما النوكيا ٣٣١٠) قائلةً بنبرة اختبار للمعلومات يغلفها التهديد: "وفيه إيه تاني غير التلات يا أحمد؟"

أجبت بصوت متردد يشوبه القلق "مش عارف فيه إيه .. آآه آآه افتكرت عيد العمال .. ولا مولد النبي باين؟!!!"

(فتغيرت معالم وجهها بالكامل وانفجرت كما البركان)

"أنا كنت متأكدة إنك مش هتفتكر أو شكلك فاكر أصلا بس بتستعبط علشان ما تجبش الهدية".

- هدية إيه؟ هو في إيه النهارده بس يا بنت الحلال؟!

فردت بكل أطراف جسدها "النهارده الفلانتاين يا أستاذ" ثم أدارت ظهرها لي وصاحت وهي سائرة وثائرة "تعالى ورايا يا بيه" .

طبعًا سرت وراءها دون أي مناقشة وإذا بها تفتح باب غرفة الطعام أو (أوضة السفرة) وقالت: "ادخل استناني هنا .. أنا جايه"

وما إن دخلت إليها حتى سرحت بخيالي ... ياااااااااه أوضة السفرة! تلك الغرفة التي يدفع فيها الزوج دم قلبه ثم لا يدخلها ولا يستفيد بها، فهي عزيزي القارئ كما تعرف متحف مغلق ذو حصار خاص تقوم به الحكومة (اللي هي المدام طبعًا) ولا يستطيع أحد الاقتراب منها.. نعم تلك هي (الطرابيزة) التي طالما حلمت أن أتناول الطعام يومًا عليها وفشلت الكثير من الحوارات الوطنية والمفاوضات التي أقمتها مع الحكومة -المدام- من أجلها، وهذا هو (البوفيه) الذي يحتوي على عدد ليس بقليل من الأدراج التي لا أعرف حتى ما بداخلها.

حدثتني نفسي أن أختلس النظر سريعًا لأرى ما بها، ولم لا وأنا صاحب هذا البيت وهذه السفرة من حر مالي، ولكن والحمد لله ارتد إليَّ صوابي سريعًا وتداركت موقفي وفكرت للحظات فيما سوف يحدث لو طبت عليَّ المدام وأنا أقوم بتلك العملية الاستكشافية الانتحارية فرجعت عن قراري فورًا ووجهت وجهي إلى الجانب الآخر مستعيذًا بالله من الشيطان فإذا بالقطعة الثالثة والأهم في الغرفة ألا وهي (النيش).

هذا التابوت الزجاجي الذي تقوم الزوجة بوضع جميع أنواع الأطباق والفناجين بداخلة لكي (تتفشخر) أمام زميلاتها وأقاربها بما يحتويه من صيني وأركوبال وبيركس وغيرها .. وهنا بدأت أتساءل

لماذا يكون عندي أفخم أنواع الأطباق وأتناول الطعام في أسوأ الأنواع من الألومنيوم والصاج، ولماذا لا يمكنني أن ألمس حتى تلك الأطباق .. لا بد أن يكون لي وقفة .. لا بد أن أقوم بثورة وانتفاضة على الوضع الحالي، لا بد أن أذيقها معنى الانفلات الأمني في البيت.

هنا قررت أن أقوم بتكسير النيش أو حرقه أمام أعين المدام حتى أراها وهي تتمزق عليه كما تمزقت قلوب المصريين وهم يرون المجمع العلمي يحترق.

تمالكت نفسي واستجمعت قواي وقمت إليه والشر يمتلكني، بدأت أقترب منه خطوةً خطوة، مكر مفر مقبل مدبر وأنا أردد: "أبكي – أنزف - أموت وتعيشي يا ضحكة مصر وتعيش يا نيل يا طيب"، وما إن وصلت إلى النيش ورفعت يدي تجاهه لكي أنفذ تلك العملية وإذ بزوجتي تدخل عليَّ وفي يدها سكين كبير وفي اليد الأخرى تورتة حمراء مثل الدم، وما إن سقطت عيناي على هذا المنظر حتى وجدتني أجري وأتخبط وأقفز (براوليه) في الهواء خوفًا حتى وجدتني مستقراً فوق (طرابيزة السفرة) رافعًا يدي لأعلى وأنا أصيح بأعلى صوتي وبكل ما أوتيت من قوة:

(النيش والشعب إيد واحدة ... النيش والشعب إيد واحدة).

***

ملك الغابة

أريد أن أوجه لك نصيحة عزيزي القارئ على طريقة فيلم (البحث عن فضيحة) للنجم عادل إمام والفنانة ميرفت أمين.

إذا دعاك أحد زملائك في العمل لحضور ندوة أو محاضرة فلا تأخذ حباية الشجاعة وتوافق على الفور قبل أن تتأكد من نوع المحاضرة وهدفها ومدتها الزمنية.

- طب ولو حضرت يعني إيه اللي هيحصل؟
- هيحصل لك زي ما حصل لحداد.
- حداد مين؟!!
- واحد صاحبي ما تعرفوش.

في أحد الأيام دعاني أحد الزملاء في العمل لحضور محاضرة عن كيفية تأسيس الشركات وكيفية حساب المكسب والخسارة.

أصارحكم القول أنني قد تحمست جدًا للفكرة بالرغم أنها لا تتعلق بدراستي ولا بعملي قيد أنملة، ولكن كما تعلمون البحر يحب الزيادة فما بالك بزيادة العلم التي وصانا بها النبي محمد ﷺ.

وبالرغم من إنني لم أحضر الجزء الأول من المحاضرة التي شرحت بالأمس ولكن في النهاية "أهي محاضرة مجانية وكلهم ساعتين زمن نأخذ فيهم خبرة، وكمان مديري يفرح بي وأنا مجتهد وبحضر محضرات زيادة على شغلي اللي زي الجبال".

على الفور سجلت اسمى ضمن الراغبين في الحضور، ولكن "بعد الفاس ما وقعت في الراس اكتشفت إنها مش مجرد محاضرة دا كورس طويل عريض وفي آخره امتحان نتيجته هتتقدم للمدير بتاعي (اللي هو هاارر اسود يعني)".

المشكلة الأكبر أن هذا الكورس كله مصطلحات إنجليزي وأنا عزيزي القارئ علاقتي باللغة الإنجليزية تشبه علاقة كلب البحر بشوربة لسان العصفور، ما فيش أي حاجة تجمع ما بيننا.

وزاد الطين لغوصة أن تلك المصطلحات تم أخذها ومعرفتها هي وكل الأساسيات في المحاضرة الأولى .. تلك المحاضرة التي لم أحضرها أصلًا. (لقد وقعنا في الفخ)

لم يكن هناك حل ولا مجال للتراجع أو الفرار، ولا بد أن أكمل المعركة للنهاية وزي ما تيجي تيجي.

أمام هذا التركيز والانتباه الشديد من السادة الزملاء بالمحاضرة لم يكن أمامي حل غير أن أمتهن التمثيل، فاستحضرت روح كل الفنانين العظماء أمثال الفنان الكبير (يوسف بك وهبي) لكي أستطيع أن أمثل دور الفاهم الذكي المنتبه لكل ما يدور حوله.

ويبدو أنني كنت "أوفر" قوي في تقمص شخصية الفاهم، ويبدو أن كل أرواح الممثلين العظماء خذلوني وتخلوا عني وسط الميدان، حتى الأستاذ يوسف وهبي خذلني عندما ترك كل الأدوار الجادة التي أتحفنا بها وأرسل لي روح شخصيته في فيلم إشاعة حب. (يا لالالي .. يا لالالي)

ونظراً لانتباهي الزائد عن اللزوم فقد أوقف المحاضر الشرح فجأة وباغتني بهجمة مرتدة متسائلًا: "حداد .. انت فاهم اللي أنا بقوله؟".

وكان ردي بكل ثقة وشموخ: " أيوه طبعًا يا فندم .. أنا فاهم كل حاجة".

فأكمل سعادته الهجمة المرتدة بضربة حرة مباشرة قائلًا: "طب قول لي ما هو الأسيت؟".

بكل ثقة وبدون تفكير قلت "الأسيت ملك الغابة".

سكوت تام، وكل العيون قد تفنجلت عن آخرها متعامدةً عليَّ ومصاحبها أفواه مفتوحة في ازبهلال واضح من جرأتي في إلقاء تلك القنبلة الألشية في هذا التوقيت الحرج.

بالطبع عزيزي القارئ أنت متخيلني الآن وأنا أطرد شر طرد من المحاضرة، ولكن المحاضر سكت تماما وتوقف عن الحركة كالذي تشنج جراء لسعة كهرباء، لحظات مرت علينا كأنها ساعات وبعدها نطق أخيرًا وقال "المحاضرة الجايه امتحان" ولملم أوراقه ورحل.

انتظرت مجموعة فاخرة من أجود أنواع الشتائم بعد الألشة اللي ربما بل بالتأكيد ستكون السبب في امتحان شديد اللهجة يقذف بنا جميعًا إلى هاوية السقوط في الامتحان وننضم جميعًا إلى حِزب (أبو كعكة).

ولكن المفاجأة إن ما حدش كلمني، لم أسمع إلا همسًا بين الزملاء، ولم يتحدث معي أحد عما حدث بخير أو بشر، فقط عيون متعامدة ونظرات مش مفهومة.

جاء يوم الامتحان وأخذت أفتكس الإجابات، فظللت أكتب كلمة من هنا على كلمة من هناك ونشنت فلا رشق نشاني ولا جت مع الهبل دُبل.

وبعد النتيجة اكتشفت أنه ليست كل نظرات الناس لنا تكون دائمًا متوافقة مع التفسير اللي جوانا، فتلك النظرات تبنى على تصرفك وشكلك الخارجي ولا تبنى على ما تحسه بداخلك.

طبعًا تُهت مني ومش فاهم حاجة .. أبسطهاالك

ظهرت النتيجة وطبعًا حصلت على كعكة كبيرة، دهشة الزملاء من النتيجة جعلتني سألت صديقي عن سبب دهشتهم ونظراتهم وهمسهم الآن ووقت القلشة إياها، عرفت إنهم كانوا منتظرين أن أكون الأول عليهم ذلك لأنهم اعتبروا أن القلشة وراءها ثقة لا تأتي إلا من واحد فاهم ومدكّن. يعني من كتر الثقة اللي تكلمت بيها خلت الناس تخيلت إن الإجابة دي عباره عن رد خبيث مني بيأكد اعتراضي على السؤال التافه من السيد المحاضر، وبالتالي إذا أنت بتستخف بي بهذا السؤال البسيط فأنا فاهم وهرد بنفس درجة الاستخفاف في الإجابة.

يعني الرسالة وصلت معكوسة وبقت في صالحي بسبب تعبيرات الوجه اللي أكدت للكل قد إيه أنا واثق في نفسي.

ساعتها افتكرت عادل إمام في مدرسة المشاغبين لما بص باندهاش كبير لسعيد صالح أثناء هرتلته المشهورة وهو بيشرح المنطق وبعدين قال: "الواد دا بيذاكر من ورانا ولا إيه؟"

كتير مننا يتقمص شخصية (بهجت الأباصيري) المنبهر أول ما الفتايين يلبسوا وش (مرسي الزناتي) الواثق في نفسه والمنفعل بإجاباته.

واسأل اللي صدقوا رجال توظيف الأموال وأباطرة العلاج بالأعشاب اللي لموا القرشينات من الإعلانات وبقوا أصحاب فضائيات ولا اللي صدقوا إن الإيدز هيتحول صباع كفته يتغدوا عليه.

مش كل واحد راسم الثقة وبيتكلم بنبرة الواثق من نفسه يبقى فاهم، ومش كل واحد بيسخر من كلام الكبار وأصحاب العلم يبقى معاه حق وفي جيبه دلائل أكبر، دي مجرد ستارة بيستخبوا وراها علشان عارفين إن الناس هتصدق كلامهم وهيتحولوا بقدرة قادر إلى (بهجت الأباصيري).

العالم الأمريكي (روبرت بارك) وصف في كتابه "الفودو العلمي" العلماء المزيفين بسبع صفات أولهم أن هذا العالِم المزيّف دائمًا ما يقدم أبحاثه وآراءه أمام الإعلام فقط ولا يقدمها أمام لجنة مختصة حتى لا ينكشف زيفه، ولكن ما دام قد ظهر على وسائل الإعلام فإن المواطن سيصدق.

هذا ما حدث ورأيناه فعلًا، فلا أباطرة توظيف الأموال قدموا خطتهم أمام علماء المالية، ولا دكاترة أعشاب الفضائيات قدموا

أبحاثهم للجهات الطبية المختصة ولا معالجي السحر والجن والدجل قد رأيناهم يومًا أمام لجنة من شيوخ الأزهر.

الجميع يذهب إلى الإعلام بكل ثقة وبدون قلق علشان ساعة ما العلماء هيتكلموا لكشف زيفهم الواضح، هيلاقوا مليون بهجت الأباصيري مصدقهم وبيدافع عنهم.

ليس كل من يظهر علينا من باب شاشات الإعلام صادقًا وليس كل من رسم الثقة على وجهه حقيقيًّا، فصاحب الحق يمكن أن تظهر عليه علامات التوتر والقلق خوفًا من أن لا يستطيع إقناعك بالحقائق التي بين يديه، بينما ذلك النصاب دائمًا ما يرسم الثقة لكي يوصل لك العكس، ذلك الشخص الذي لا بد من صده منذ البداية بأن تقول له بملء فيك (اطلع من نافوخي).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[1]

***

[1] الحجرات: ٦.

أرابيز للبيع

صباح أحد الأيام لاحظ أحد أصدقاء العمل انكبابي على مكتبي وانهماكي في الكتابة غير مكترث لما يدور حولي فأخذته عجلة الفضول ليبدأ الحديث بابتسامته المعتادة:

- صباح الفل يا حداد .. مشغول في إيه ع الصبح كده؟

- زي ما انت شايف قاعد بكتب .. وسيبنى دلوقتي علشان أنا ما نمتش طول الليل أصلًا.

- الله .. طب وليه كده .. إيه اللي سهرك؟

- بفكر في صيغة حلوة للإعلان ده.

- إعلان إيه يا كبير .. هتبيع العيال ولا إيه؟

- لا يا خفيف .. أنا هأجَّر أرابيزي.

- هتأجَّر أرااا إيه؟!

- أرابيزي يا عم .. اسمع هاحكي لك، النهارده وأنا راجع في الأتوبيس، لقيت راجل كبّارة كده قاعد جنبي ومهموم، حبيت أخفف عنه فبقول له ما لك يا راجل يا طيب، راح قايل لي بصوت منكسر ومتردد زي صوت كرم مطاوع: "مش عارف أقولك إيه بس يا ابنى .. الراجل صاحب البيت عايز يطلعني أنا وعيالي من الشقة

اللي لمانا ومخبيانا من برد الشتا اللي ما بيرحمش جِتّة .. وهنروح فين يا ابني بس والحال ما يعلم بيه إلا المولى؟!".

صعب عليَّ قوي فسألته: هو انت بتدفع إيجار كام؟ .. فقالي بدفع ٨٤ جنيه بحالهم والشقة يا دوب ٢٥٠ متر.

- يا نهار أسود ٨٤ جنيه بحالهم .. انت بتهرج يا حج ما تزوده شوية يا عم دا انت ماسك في إيدك موبايل أنا مش ماسكه وكمان فاتح اليوتيوب .. هو أنت باقتك من أم كام يا بركة.

- لا يا ابنى دا مش يوتيوب .. دا أنا عامل لايف مع أحفادي علشان هنتجمع في العمارة كلنا النهارده.

قولت له: عمارة إيه؟! .. أنت مش بتقول شقه؟!

قال لي: يا باشا أنا بتكلم على العمارة بتاعتي مش شقة الراجل.

بصراحة مقدرتش أمسك نفسي وتعصبت وقولت له: "الله .. طب لما انت عندك عمارة قاعد في شقة الراجل ليه ما تسيبها له".

لقيت ظهره المحني اتفرد وراسه الصلعة طلع لها شعر وعينيه لونها قلب ألوان وصوت كرم مطاوع اتقلب على غسان مطر وقال: "وحياة أمه ما هيطول مني جنيه زيادة والـ٨٤ جنيه اللي مش عاجبينه هخليه يبوس إيدي علشان ياخدهم.. هو فاكرني هاسيبها له ويتمتع هو بالـ٢٧٠٠ جنيه؟".

- يا لهوي .. يا عم ٢٧٠٠ جنيه إيه انت مش بتقول ٨٤ جنيه؟!

قال لي: "يا ابني لأه .. ما أنا مأجرها من الباطن وباخد من المستأجر ٢٧٠٠ جنية في الشهر، مع إنه والله قليل .. بذمتك يا أستاذ هو في شقة في الزمن ده مساحتها ٢٥٠متر وواخدة ناصيتين ويبقى إيجارها ٢٧٠٠ جنية بس؟"

قولت له: لأ طبعًا يبقى إيجارها ٨٤ جنيه يا اللي نتشك في معاميعك.

- يا نهار اسوح، شمت الراجل في الأتوبيس طب وبعدين؟

- ولا قبلين جريت بقى علشان أنزل من الأتوبيس، الراجل قعد يزعق ويقول "مش هاسيبها له وهاقعد في أرابيزه – سامعني هاقعد في أرابيزه".

- طب ماشي إيه علاقة دا بالإعلان اللي بتكتبه؟

- هاقول لك .. ما هو أنا بعد ما نزلت من الأتوبيس وجيت داخل على الشغل لقيت البت نوال بتاعت شئون العاملين اللي سارحة ورايا ليل ونهار دي كانت بتتكلم مع سوسن على السلم، قوم إييه وأنا معدي راحت معليا صوتها وقايله "بس مش هيفلت مني .. أنا هافضل وراه وهاقعد له في أرابيزه".

- هههههه .. هي البت دي مش ناوية تجيبها البر.

- المشكلة إني حتى لما رجعت البيت بقول للمدام انتي رجعتي م الشغل بدري النهار ده ليه؟ قالت لي "هروح فين يعني يا حبيبي – قاعدة في أرابيزك"،، بس يا سيدي ومن ساعتها وصوت الجملة دي بيرن في وداني .. أنا قلقان وخايف قوي يا صاحبي.

- أنا مش فاهم حاجة .. طب انت خايف من إيه؟

- انت تعرف إيه هي الأرابيز دي؟ أو تعرف مكانها موجود فين؟

- لأ .. بس واضح إنها موجودة في جسم الإنسان.

- وبيتأجر .. واضح أهوه من كلام الناس، وتقريبًا كدا بيكون إيجار قديم يعني اللي بيسكنه بيقعد على قلبك ما يطلعش ولا بالطبل البلدي، الموضوع دا محيرني جدًا ومش عارف إذا أخدت بالك من الموضوع دا قبل كدا ولا لأ.

- الحقيقة لأ .. دي أول مرة آخد بالي منها.

- طب وبعدين، أنا بصراحة خايف على أرابيزي قوي يا صاحبي، ومش عايز أي حد كدا يقعد لي فيها من غير لا احم ولا دستور، إحنا لازم ناخد بالنا من أرابيزنا أكتر من كدا يا صديقي، لازم ناخد احتياطاتنا.

- يخرب بيتك أنا اتوترت .. أيوه طب يعني نعمل إيه؟

- أنا بفكر أركب سلك شائك حواليه.

- حوالين إيه؟؟

- حوالين أرابيزي يا عم، ما تركز معايا شوية بقى.

- ما لك يا حداد .. إهدا يا غالي.

- لالالا انا مش هسكت ولازم أتصرف، أنا عايز أكلم الأستاذ إيهاب توفيق أكيد عنده حل .. تعرف رقمه؟

- رقم مين بس ما تستهدا بالله كده .. إشمعنى إيهاب توفيق يعني.

- مش هو اللي كان بيقول "أرابيز أرابيز واللسه والحلو عيونه مش حاسة" يعني هو على دراية بالموضوع دا من زمان وأكيد لقاله حل.

- لا إذا كان الموضوع وصل لكده بقى يبقى الأفضل تكلم الأستاذ مصطفى قمر.

- هو أستاذ مصطفى ليه علاقة بالموضوع برضه؟

- طبعًا .. دا استاذ مصطفى دا أربزاوي قديم، اسألني أنا، مش هو اللي قال "ويا ناس أنا دوبت فـ أرابيزه .. أرابيزوه أرابيزواااااااا"... أهوه كان دايب في أرابيزه اهوه يعني كان متعمق جواها كمان.

- لا يا عم .. التانية دباديبو.

- إيه دباديبو دي؟

- دي جمع دبدوب.

- ليه هو أستاذ مصطفى كان ساكن فوق الشفونيرة بتاع حبيبته يعنى ولا إيه؟

- يا عم أنا عارف .. خلينا بس نلحق الأرابيز وبعدين نشوف موضوع الدباديب ده.

- إهدا بس .. أصلًا دي كلها أغاني قديمة، الأغنيتين دول من سنة ٩٢ على فكرة وما حدش بيقول الكلام دا دلوقتي.

- بالظبط كده، دلوقتي فيه تعتيم إعلامي شديد على الموضوع وأنا شاكك إن التعتيم دا وراه جهات أجنبية .. ولا يكونشي دا مخطط من الحكومة لحل أزمة الإسكان؟!!!

- يا سلام؟

- آه والأرابيز تشح وتغلى في السوق بعد كده والناس متلاقيش أرابيز تقعد فيها، فتحصل ثورة ويحصل انفلات أمني في البلاد ويجيلي حد يستغل ظروف البلد ويقعد في أرابيزي غصب عني، وأنا وحظي بقى يعني ممكن يكون غلس ولا ما يكونش نضيف مثلًا .. فيبهدل الأرابيز بتاعتي هو وولاده اللي ممكن يكونوا من العيال إياهم اللي ليل ونهار في الشارع وبيبقوا لابسين من فوق بس دول وبيعملوا بيبي في أي جنب وف أي حتة يقوموا ييجوا في أرابيزي ويشـ.....

- لالالا يع يع مش قادر أتخيل.

- شوفت بقى،، فقلت أتخذ الحيطة ليشخ....

- يشخ إيه؟!!!

- يشخبطولي ع الحيطة يا أخي.

- آآآه.

- ودي مش أي حيطة .. دي حيطة أرابيزي يا جدع.

- طيب وقررت إيه؟

- قررت إنه لازم يكون لينا وقفة ولازم ندافع عن أرابيزنا بنفسنا، ومن هذا المنطلق قررت تكون المبادرة من عندي .. وقررت إني أأجر أرابيزي بنفسي وبشروطي واللي عايز وتنطبق عليه الشروط يبعت لي بياناته على الإيميل وأنا اللي أختار بنفسي مين اللي يسكن أرابيزي، اسمع صيغة الإعلان بقا واتعلم.

- هاااه .. سمعني لما نشوف آخرتها.

- اسمع يا سيدي .. (إعلان هام)

يعلن المعلم حداد (سمسار أرابيز) عن وجود أربيز فاضي سوبر لوكس للإيجار .. الأربيز لشاب في الثلاثينيات .. لم يستغل من قبل .. كالجديد دواخل وخوارج (فابريكة). يحيطه مساحات حمراء من الأوردة والشعيرات الدموية التي تجعلك تشعر بالطبيعة الخلابة، وواجهة من الجلد ونوافذ من الأغشية المضادة للعوامل الجوية وبلكونات تطل على البنكرياس مباشرةً، حوائط مبطنة وناعمة كالحرير

وخالية تمامًا من حَب الشباب، تمتع بأجمل وأحلى سهرات البند الغربي على دقات القلب المليئة بالنغم بالإضافة إلى حفلات الجاز والصوت المميز لزمارة رقبتي المرهفة الحس، كما يمكنك ممارسة الرقص الشرقي (على واحدة ونص) مع درابوكة طبلة ودني المميزة. فقط مطلوب حد مريح صريح يحب التفاريح ، يقعد على أرابيزي زي ما هو عايز بس يقوم ساعة واحدة كل يوم للتهوية وعلشان الأرابيز ماتكمكمش.

عرض جبار وتحطيم للأسعار ... ولو كنت لذيذ أدخل ع الأرابيز، عرض جديد وخد بالك من التقليد، واللي يقولك أنا عندي من ده ولا أحسن منه قوله بالفم المليان ... أرابيزك حمرا .. ولا اقولك .. قوله (اطلع من نافوخي).

***

- (الفصل الثاني) -
ثقافة حصري
للشعب المصري

الحلم الممنوع

قبل ثورة يناير وفي عصرٍ مُنِعَت فيه الأحلام، كنت أنتظر موعد النوم حتى أُغلق عليَّ غرفتي، أطفئ الأنوار، أنبسط على سريري ويبدأ الحلم.

لم يكن حلمي يومًا حلمًا عاديًا ولذلك لم أجرؤ يومًا على أن أحكيه لأحد حتى لأقرب الناس إلى قلبي لأن أبسط ما يكون أنهم سوف يصفونني بالجنون مع حجز أول تذكرة (ذهاب فقط) إلى السرايا الصفرا.

والحقيقة لن أجدها (نذالة منهم) لأن تلك السرايا الصفراء هي أرحم بكثير من أن يضعني حلمي تحت طائلة شرطة الأحلام في أمن الدولة والتي سوف أعود بعدها إلى بيتي منفوخًا على ٣٢ كما إطارات السيارات (دا إن رجعت يعني)، وإذا سألني المحبون (انت منفوخ علينا ليه يا نجم؟) أجيب وعيني في الأرض بصوت مبحوح: "أصلي بتعالج بالكورتيزون، والكورتيزون بينفخ يا جماعة"، وهذا ما لا أحبذه لأن (الكور) بيبهدل (التيزون) زي ما انتوا عارفين. (والتيزون مش ناقص خالص الحقيقة).

اسمعك الآن تتساءل ما هذا الحلم الذي يمكن أن يوصل إلى كل هذا، يكفيك أن تعلم أن حلمي كان بعنوان (حداد رئيس الجمهورية).

ولأني كنت أحلم أني رئيس الجمهورية فكنت أرتب في الوزراء على حسب ما تراءى لي في هذا الوقت ومع هذا السن الصغيرة، فأضع على كل مقعد وزاري شخصية عامة معروف عنها الوفاء في مجال تلك الوزارة، على سبيل المثال ستجد في حكومتي التخيلية اثنين على مقعد رئيس الوزراء فهذا الدكتور كمال الجنزوري على مقعد رئيس وزراء الشئون الداخلية بينما الدكتور عمرو موسى على مقعد رئيس وزراء الشئون الخارجية والعسكرية، بينما ستجد على مقاعد الوزراء الكابتن محمود الخطيب للرياضة، عمرو خالد للشباب، محمد صبحي للإعلام، طارق علام للشئون الاجتماعية، أحمد زويل للتعليم والبحث العلمي ومجدي يعقوب للصحة وغيرهم الكثير وذلك مع حفظ الألقاب طبعًا.

لن ألتفت للخطأ الدستوري في وجود مقعدين لرئيس الوزراء، فالحلم لا دستور له، ولن يشغلني إن اتفقت أو اختلفت معي في بعض الأسماء لأن في وقتها كان هؤلاء هم أبرز الشخصيات على السطح ولم يكن هناك وقتها فلول ولا دياولوا.

الشيء الوحيد الذي كان يشغلني والسؤال الوحيد الذي طالما عجزت عن إيجاد إجابة له: من ذا الذي يصلح لكي يشغل مقعد (وزارة الثقافة)؟

كنت دائمًا تنتابني الحيرة عندما أصل لتلك الوزارة، لم أكن أجد له من يشغلها، لا لصعوبة المركز ولكن لأنه منصب معقد وغير مفهوم، فمن ذا الذي يصلح أن يكون وزيرًا للثقافة، ثم أنه ماذا تعني أصلًا كلمة ثقافة؟ وما هو العمل المنتظر من وزير الثقافة؟

هل من المفترض أن يقوم بتنمية ثقافتنا الداخلية، أم يصدِّر ثقافتنا للخارج، أم عليه أن يستورد ثقافات خارجية ويدخلها بلدنا؟ .. وكل مرة أجد نفسي عاجزًا أمام سؤال واحد .. يا وزير الثقافة: "إنتي إشتغلي إ يبيه؟!".

المشكلة أن لكل بلد ثقافة مختلفة نابعة من حضارتها المعروفة، بينما نحن بلا فخر (مِكس حضارات)، عن الحضارات التي تحتضنها بلادنا فحدّث ولا حرج، فحضارتنا فرعونية على يونانية على روماني على قبطية على إسلامية - مولد حضارات سعادتك – وهو ما جعل لنا الآن العديد من الثقافات المختلفة تمامًا، لذا إذا نظرت إلى بلدنا من أعلى ستجدنا مجموعة شعوب وضعها الله على أرض واحدة ولكل طبقة منهم ثقافة تختلف في الشكل والمضمون وتميز كل منهم عن الآخر.

الأصعب من كل هذا أننا نمتلك داخل أروقة بلادنا عدة ثقافات غير موجودة لدى الشعوب الأخرى يمكنك أن تطلق عليها (ثقافة حصري) وخلال الصفحات القادمة سوف أعرض عليك عزيزي القارئ بعض الثقافات الخاصة بشعبنا والتي قابلتها في الشارع المصري لعلك تتفق معي وتعرف مدى الصعوبة التي تواجه من يتولى منصب وزير الثقافة.

***

إتفرج يا سلام

تحب تتفرج على إيه؟ .. أجيبلك خناقة تتفرج عليها ؟!! .. طب أجيبلك واحد بيموت على الأسفلت وسايح في دمه؟!! .. طب بلاش الحاجات (النوتي) دي أجيبلك إشارة مرور تقف عندها تتفرج ع اللي رايح واللي جاي من إزاز عربياتهم؟

ماتستغربش عزيزي القارئ .. إحنا شعب بنحب نتفرج قوي وبنعشق الفرجة من زمان حتى لو كنا بنتفرج على حاجة مالهاش أي تلاتين لازمة ومش هنستفاد من وراها أي حاجة المهم إننا نتفرج وبس.

فمثلًا البنات البنات ألطف الكائنات الآنسات منهم والمتزوجات، ستجد أن أسعد لحظات حياتهن يقضينها أثناء ترجلهن ما بين فتارين المحلات في الأسواق والمولات، بل إن تلك العادة في حد ذاتها علاج نفسي قوي لمن تعاني منهن الحزن والأرق والاكتئاب، فتجد الواحدة من دول إذا اتخانقت مع العيال (أو أبو العيال طبعًا) تنزل تتمشى شوية وتتفرج ع المحلات وترجع مبسوطة قوي قوي ولا اللي كانت في جزر المالديف.

وبالرغم من أن "الجنس الخشن خشن والجنس الناعم ناعم" كما قال الفنان سمير غانم في فيلم (الزواج على الطريقة الحديثة)، وبالرغم من أننا نعيش عصر منيل بستين نيلة لم يصبح فيه كل الجنس الخشن خشنًا ولا كل الجنس الناعم ناعمًا، لذا فإن عادة الفرجة لا تقتصر على الجنس الناعم فقط، فكلنا من بني آدم ونشترك في الكثير من الصفات ولا تنسوا أن "البنت زي الولد ماهيش كمالة عدد" .. ولا إيه؟

فرجل البيت مثلًا بمجرد عودته من العمل فلا بد أن يخلع ملابسه ويرقد بالفانلة الحملات أمام التلفزيون متأنتخًا على الكنبة متنقلًا بين القنوات بواسطة الريموت كنترول، ذلك الجهاز الصغير الذي ما إن ينهي جولته الروتينية حتى يستقر على كرش صاحبه، وبالرغم من عدم تركيز الزوج على أي شيء مما يتحرك أمامه على الشاشة إلا إنه لو جدعة خدي منه الريموت.

بينما الشاب المراهق الذي يقف طوال النهار في البلكونة رافعًا كوزين الأسمنت اللي عاملهم (دمبلز) منتظراً مرور بنت الجيران أمام شباك غرفتها لعلها تلمح (عضماته) فتذوب فيها حبًا، أو ربما تخرج ست الكل اللي تحتيهم إلى البلكونة لتنشر الغسيل علشان يتفرج وهو ورزقه بقى.

أما عن حبايبي المراهقات من البنات، فحدث ولا حرج عن فرجتهم على بعضهم البعض في الشوارع، في لحظات يتم عمل إسكان طولي (X-Ray) بالعيون وفي أقل من الثانية تظهر النتيجة بمعرفة ستايل وماركات والألوان التي ترتديها تلك الفتاة.

المشكلة أن ثقافة الفرجة قد تطورت بشكل ملحوظ وبدأت في أخذ منحنى آخر أكثر خطورة، فإذا حدثت مشاجرة في مكان ما تجد الجميع يجري صوبها لا من أجل إنهائها ولا حتى من أجل تهدئة النفوس .. ولكن من أجل الهدف الأنبل والأسمى ألا وهو الفرجة.

يُقبِل شعبنا الحبيب على الخناقات بكل فرحة وتجد السعادة تملأ وجوه المشاهدين من كل الأعمار بينما تجد علامات الاهتمام مرسومة على الوجوه بجدية لا تراها حتى في امتحانات الثانوية العامة.

وبدلًا من أن تسمع صيحات الاستغاثة والاستنجاد تسمع صيحات أخرى من نوعية: "ولا يا ماندو بيقولك في خناقة جامدة قوي في الشارع اللي ورانا .. يلا بسرعة نلحق نتفرج قبل ما تخلص".

ومن جهة أخرى من منا لم يتأخر يومًا على عمله أو يلغي مشوارا مهما بسبب حادثة في الطريق، ففي بلدنا الغالي عندما يقع حادث مروري تجد الطريق قد توقف تمامًا (قد يبدو هذا طبيعيًا) ولكن لماذا دائمًا يتوقف الطريق المقابل أيضًا؟، ذلك ما تكتشفه لما ربنا يكرمك وتصل بعد ساعة كدا إلى مكان الحادث بسلامة الله فلا تجد

حادث أصلًا بينما مجرد (عربية ١٢٨) عطلانة على جنب والطريق فاضي وزي الفل، وسبب العطلة الوحيد إن كل عابر سبيل لا بد وحتمًا ياخد حظة من الفرجة.

أغرب ما في الموضوع ذلك الشخص الذي يظل يزمر ويتذمر ويملأ الدنيا كلاكسات لكي يتحرك البيه اللي بيتفرج قدام ويخلي عنده شوية دم علشان الطريق كمان يتحرك، ويظل يلعن ويشتم في الناس اللي بتتفرج ويتهمهم بالجهل وعدم احترام الطريق وتعطيل وصول الإسعاف إلى المصاب، إلا أنه وبمجرد وصوله إلى نقطة الحادث يتحول ١٨٠ درجة ويأخذ دوره في الفرجة هو كمان ومش بعيد يطلع موبايله ويصور الحادث علشان يبهر الفانز اللي ع الفيس بتغطيته الإعلامية المتميزة ويكش يولع الإسعاف والمسعفين والمصاب ذات نفسه. (ما الكل اتفرج جت عليا يعني).

ولأن الشيء بالشيء يذكر وبما إننا جيبنا سيرة العربيات والطرق، أحب أفكرك عزيزي القارئ بنموذج تاني رخم عنده ثقافة الفرجة برضة ودا بتقابله دايمًا عند الإشارات، أثناء توقفك في إشارة (لا مؤاخذة) حمراء، فتجد سكان السيارة التي بجوارك وقد تركوا كل شيء وقعدوا يتفرجوا عليك .. فتستغفر ربنا وتروح طالع عجلة قدام (واللهم طولك يا روح)، يروح هو كمان طالع وراك ويكمل فرجه عليك. فتستفز ويثيرك الفضول لفتح زجاج سيارتك لكي تسأله: "هو

حضرتك تعرفني؟، طب هو أنا مش خلصت فترة المراقبة اللي عليا باين، طب حضرتك بتتفرج عليا ليه؟".

لا تقلق عزيزي القارئ انت زي الفل ولكنها ثقافة الفرجة يا عزيزي، ويكفينا فخرًا أننا الشعب الوحيد عند اكتشاف قنبلة في الشارع كنا نتكاتف وننبه بعضنا البعض بسرعة البرق ونجري سويًا لا خوفًا من القنابل وتفجيرها وإنما لكي نأخذ صورة سيلفي معها ويا حبذا لو ربنا كرمنا وأخدنا اللقطة وهي بتنفجر.

أما القشة اللي قسمت ظهر البعير وحطمت أكبر علماء علم النفس بل وأوصلت الكثير منهم للانتحار بعدما عجزوا عن التفسير والتحليل والتعليل، عندما أعلنت الدولة حالة الطوارئ وحظر التجوال في البلاد فنزل شعبنا الجميل إلى الشوارع علشان يتفرج على حظر التجوال.

تخيل وصلنا بثقافة الفرجة لأي حد، دولة تعلن حظر التجوال لوجود خطر على حياة المواطنين، فينزل المواطنون إلى الشوارع لكي يتفرجوا على أنفسهم وهم محظورون من التجوال.

وصلنا بثقافة الفرجة لمرحلة خطر، بل فوق الخطر بمراحل وعدينا كل الخطوط الحمراء والسوداء أيضًا، وما زال الشعب المصري يبهر العالم بثقافته الخاصة .. تلك الثقافة التي تسمى "ثقافة الفرجة".

وهنا يحضرني سؤالان في غاية الأهمية:-

أولًا: متى ننشغل فقط بأنفسنا ونترك الفرجة على خلق الله؟ .. متى نترك تلك العادة السلبية اللي لا بتودي ولا بتجيب (آسف تلك العادة اللي بتودي في داهية وبتجيب كل المصايب).

وثانيًا: .....

متأسف عزيزي القارئ مش هلحق أكتب ثانيًا ومضطر أقولك "اطلع من نافوخي دلوقتي بقى علشان في خناقة تحت البيت عايز ألحق أنزل أتفرج عليها".

***

حرك شفايفك علشان مش شايفك

"صوتك العالي يدل على ضعف موقفك" .. تلك الجملة التي أخذ مدير المدرسة يعيدها مرارًا وتكرارًا بصوته الجهور على مسامع تلاميذه في طابور الذنب الصباحي من خلال أبواق المدرسة المعدنية مما جعل جاره المستاء والمنزعج من هذا الصوت البهائمي يقطع أسلاك تلك الأبواق ليلًا.

ذلك المشهد العبقري للفنان كريم عبد العزيز في فيلم (في محطة مصر) الذي يشرح ببساطة الحالة التي وصلت لها لغة التواصل فيما بيننا، فثقافة الصوت العالي أصبحت أساسًا في جميع تعاملاتنا، فالتربية في بيوتنا بالصوت العالي، مذاكرة الأم لأبنائها بالصوت العالي، مناقشة الأزواج بالصوت العالي، التدريس في مدارسنا بالصوت العالي، توجيهات المديرين بالصوت العالي، أوامر المسؤولين بالصوت العالي وقولنا هنبني وأدينا بنينا الصوت العالي.

هناك معادلة فطرية قديمة تقول " كلما علا صوتنا قل سمعنا وقلت المعلومات الواصلة فتزيد الخلافات".

وبالرغم من ذلك ليس هناك ما يدعو للاستغراب والتعجب، فأصول الحوار وآدابه نستمدها من مثقفينا ومسئولينا الذين يطلون

علينا من النافذة الأكبر ألا وهي نافذة الفضائيات، ومع الأسف الشديد فنحن نرى المثقفين والإعلاميين في بلدنا منورين بصوتهم العالي على منصات التوك شو وهم يتعاملون بمبدأ (خدوهم بالصوت ليغلبوكوا)، فكم من احتداد بالألفاظ قد رأيناه علنًا على مرأى ومسمع من العالم من خلال شاشات فضائياتنا اللي مشرفانا، ذلك الاحتداد الذي وصل إلى التشابك بالأيدي في بعض الحالات، فذلك هو الشكل وهذا هو المنطق الذي يصدره لنا مثقفونا.

إذن ما هو المنطق؟ .. المنطق: إنك تفضل تزعق انت واللي قدامك قصاد بعض لحد ما واحد فيكوا يتعب ويقع مايحطش منطق.. صح ولا مش صح يا متعلمين يا بتوع المدارس.

ومن هنا بنيت ثقافة الصوت العالي، احتضناها ونشرناها وطورناها حتى أصبحت ثقافة مِكس، يعني كل حاجة والعكس.

فبالرغم من أن "صوتك العالي يدل على ضعف موقفك" كما قلنا مسبقًا إلا أننا نستخدمه كمظهر من مظاهر القوة (خدوهم بالصوت ليغلبوكوا) ولا تخرج قبل أن تقول سبحان الله.

كما أن الصوت العالي هو أداة تعبير عن مدى فرحك أو حزنك. فمثلًا لكي نعبر عن فرحنا بشكل جيد فلا بد أن تعرف أيها العريس أن "بنتنا ماتدخلش سكيتي كده، ولازم نعملها أحسن ليلة حنة فيك يا كفر أبو الكاكيت ولازمًا وحتمًا ولا بد تكلف ويجيلها أحسن

(دي جي) فيكي يا بلد، آه ما هي مش أقل من صفاء بنت بدرية ولا محروسة بنت إجلال".

يأتي الدي جي بعشروميت سماعة ويقوم برصهم فوق بعضهم حتى إذا ساوى بين السطوحين عُلِّقت الأنوار والكهارب في الشارع بطوله لكي يُغلَق الشارع حرفيًّا وتبدأ السماعات في إطلاق صراخها.

حتى حديثو الولادة لم يسلموا من الضجيج ومن الصوت العالي، فلا بد من أن نحتفل ونحتفي بهم ب (السبوع) حيث دق الهون جنب صرصور ودنه، دا طبعا بعد أن يأخذ نصيبه من المخمطة في الغربال وهو يستمع إلى أول وأغلى نصائح تلقى على أذنيه الصغيرتين "اسمع كلام أمك .. ما تسمعش كلام أبوك" ثم نسأل بعد ذلك عن عقوق الابن لوالده. ثم ذلك المشهد الدجلي المشعوذ، أشباح تدور حوله وشموع مشتعلة وبخور يخنق الأنفاس وأصوات تنطق بتعاويذ غير مفهومة المعاني "حالقاتك برجلاتك" ثم نستغرب لماذا يتجه شعبنا للدجالين.

أما على صعيد الحزن وفي أشدها ابتلاءً والتي هي حالات الوفاة فالاختلاف فقط في طريقة رص السماعات لتكون أفقية بطول الصوان لا رأسيًا كما في الأفراح، وبعلو يسمح لها بأن تصيبك بالصمم دون أي اعتبار لوجود مرضى أو طلبة يستذكرون دروسهم أو حتى

مستشفى قريب به مرضى يعانون آلامًا لا يحتمل معها تلك الأصوات العالية.

"انت هتكفر بقا يا أستاذ، دا كلام ربنا اللي بيتقال ده، وبعدين ما اللي يسقط يسقط واللي يعاني يعاني ولا يتحرق حتى، هو الحاج البهبوني الله يرحمه كان قليل في البلد علشان يخرج كدا سكيتي، انت عايز الناس تاكل وشنا وتقول إن اننا ما صدقنا الحج يموت ولا إيه؟"

كلام يجعلك تشعر أن الحج إذا لم تقم له تلك الدوشة الممنهجة فغالبًا كدا هيتقمص في تربته ويمكن مايرضاش يتحاسب ويقول للملايكة "الحساب عند ولاد الكلب اللي استخسروا فيا العزا أبو ٢٨ سماعة والفراشة الدهبي اللي عليها صورة الشيخ الشعراوي".

فيا كل من يرى أن قوّته في الصوت العالي ويستخدمه دون أي اعتبار لما يعانيه الناس من هذا الصوت العالي، لا أجد ما أقوله لك سوى أن أدعو عليك كما دعا كريم عبد العزيز على مدير المدرسة إياه "إلهي ربنا يضعف موقفك ليلة دخلتك يا بعيد" يمكن ساعتها تفوق (وتطلع من نافوخنا).

***

ثقافة البوس

"مين اللي اخترع البوسة؟"

كان هذا سؤال جانبي من أحد الخبثاء على هامش ندوة تتحدث عن السينما النظيفة (اللي هي من غير بوس) أو على تقدير الآخرين إنها السينما التي يأتي بها البوس في سياق الدراما.

ولأنني (ردودي دايمًا جاهزة) زي ما المدام دايمًا بتقول لي فقد مِلت عليه مجاوبًا: " أكيد واحد كان زهقان من مراته الشكاية الرغاية فحاول يكتم بوقها وإيده ماكنتش فاضية فقفله ببقه فعجبتها الحركة وانبسطت وقرر من ساعتها يفضل يستخدمها كل ما يحب يستريح من رغيها ".

ويبدو أن إجابتي قد راقت للسائل الذي ابتسم وأكمل خبثه متسائلًا: وانت بتحب تبوس؟

✓ البوس دا ثقافة يا ابني، ثقافة من الثقافات اللي بتختلف ما بين الشعوب في طريقتها وعادتها، وبلدنا من أكبر البلاد اللي بتنتشر فيها الثقافة دي، وبيني وبينك أنا شاكك إن الثقافة دي أصلًا بدايتها كانت عندنا في مصر.

- ياااه دا الموضوع مهم بقى وشاغلك.

✓ طبعًا يا ابني .. دا فيه علماء متخصصين في دراسة البوس.

- يا سلاااام!

✓ آه طبعًا وأهمهم مثلا العالم (رافييل ولدرسكي) واللي عمل أبحاث ودراسات عن البوس وأشكاله وأنواعه وفوايده وأضراره في جامعة اكسفورد.

- يااااه فوايده وأضراره .. أضرار ايه يا عم؟

✓ أنت ما تعرفش إن البوسة ممكن تكون سبب في موتك ولا إيه؟

- آه طبعًا عارف، هو أنا عبيط، ما أنا لو نسيت أمسح الروج من على خدي بعد سهرة من إياها ومراتي قفشتني هاخد لقب المرحوم على طول.

✓ روج إيه اللي مراتك هتقفشك بيه .. العلماء اكتشفوا إن البوس بيكون السبب في تبادل أكتر من ٣٠٠ نوع بكتيريا دا غير إن فيه فيروسات بتتنقل بالشكل دا زي الهربس مثلًا.

- الله أنا بحب الترمس.

✓ ترمس؟ !!

- أصل أنت ماتعرفش بيعدل نفسي قد إيه.

✓ يا عم صحصح بقولك الهربس.

- الهيربس .. الهيبربس!! مش دي شركة الأوراق المالية اللي في الدقي باين .. دا بيقولك مرتباتها يا معلم بتوصـــ....

✓ هبقى أشوف لك شغله هناك .. يا عم والنبي ركز معايا بقولك الهربس .. الهربس فيروس، دا بيدخل على الخلايا العصبية وبيعمل طفح جلدي ع الشفايف وعلى لا مؤاخذة أماكن مش حلوة خالص.

- يا نهار منيل، خلاص مش هبوس تاني .. مش هبوس.

✓ مش هتبوس ازاي .. ما هو انت لو بطلت تبوس ولا حتى غيرت طريقة البوسة بتاعتك هتروح في داهية.

- ليه بس؟

✓ العالم الشهير (توني ريمان) خبير لغة الجسد بيقول إن اللي متعود يبوس مراته من شفايفها كل يوم قبل ما يخرج دا بيدل على مدى حبه ليها، بس بمجرد أنه يبطل يبوسها أو حتى يغير طريقة البوسة دي ويستبدلها ببوسة على الخد مثلًا فدا دليل على خيانة الرجل لمراته، وأنت عارف الباقي بقى.

- منك لله .. يعني أبوس ولا مابوسش؟

✓ هقول لك .. في دراسة تانية بتقول إن الرجالة اللي بيحافظوا على تقبيل مراتهم قبل النزول للشغل بيعيشوا مدة تصل لخمس سنوات أطول، يعني عايز عمرك يطول يبقا تبوس على طول.

- طب إشمعنى البشر اللي عندهم المشاكل دي، ما كل الحيوانات والطيور بيبوسوا وعايشين وزي الفل لا خيانات ولا بتاع.

✓ حيوانات إيه وطيور إيه اللي بيبوسوا دول؟.. أنت عمرك شوفت بطة فوق السطوح بتاعكوا بتبوس دكر البط.

- أنا شوفت الأكبر من كدا يا بيه .. دا اللي شوفته خلاني شبه متأكد إن موضوع البوس دا هو السبب الأساسي في انتشار إنفلونزا الطيور عند الفراخ والنوشة عند الحمام.

✓ نوشة إيه وفراخ إيه؟

- ركز معايا وأنا هقول لك .. بعد تفكير وتدقيق ومراقبة اكتشفت إن فَرد الحمام من دول يجيله فيروس النوشة وتلاقى رقبته إتلوِت لتحت وبقى واد متني كدا ومش مظبوط، وبعدين يروح يقف بقى على ناصية العِشّة وكل ما يلاقي زغلوله حلوة معدية يروح ظارفها واحدة مشبك فينقلّها المرض ويجيب أجلها على طول.

✓ يا عم مشبك إيه وحبل غسيل إيه بس.

- يا جاهل الكلام اللي بقولهولك دا كلام علمي .. انت ماسمعتش أغنية "ع الجدار ع الجدار .. والفرخة باضت ع الجدار والديك قاطرها ع الجدار".

✓ جدار؟ !!!!!!

- أيوه يعني هو الديك كان قاطر الفرخة ليه ما أكيد علشان يبوسها وينشر المرض بقى، فعلًا أجدادنا مابيقولوش حاجة غلط.

✓ يا عم يبوس إيه دا ديك .. دا أكيد كان عايز يكسّرها.

- يكسّر إيه .. تقصد البيض اللي ع الجدار يعني؟ .. لاا اللي زي دا أمره سهل، دا أكيد ديك عنده نقص كالسيوم ابقى حط له شوية جيرع الأكل وهيبقى زي الفل.

✓ يا عم انت عمّال تتوهنا وتدخلنا في مواضيع تانية مالهاش لازمة.

- مواضيع تانية إيه .. دا هو دا صميم الموضوع، يا باشا البوس دا سبب انتشار أمراض الإنفلونزا اليومين دول .. عايزين نسجل هذا الاكتشاف الخطير باسمي يا حداد.

✓ يعني انت بذكائك اكتشفت إن إنفلونزا الطيور بتنتقل بالبوس بين الطيور وماكتشفتش إن هما أصلا ماعندهومش شفايف يبوسوا بيها .. يا أستاذ مناقيرهم لا تسمح بهذا العمل.

- ازاي بقى؟

✓ أساس البوسة هو ضم الشفايف وشفط هوا، ودي حركه مايعملهاش منقار لا فراخ ولا حمام ولا غيره.

- يعني ما اروحش بقى؟

✓ تروح فين؟!

- أسجل الاكتشاف.

✓ يا عم الله يخرب بيت الاكتشاف .. بقولك إيه أنا همشي قبل ما يجيني شلل.

- خلاص يا عم كمل كنت عايز تقول إيه؟

✓ عايز أقول إن البوس دا ثقافة.

- طبعًا ثقافة .. هو في فيلم ثقافي يخلو من البوس؟

✓ يا عم خرج القرف اللي في دماغك دا وخليك معايا، أقصد ثقافة من ثقافات الشعوب.

- مش موافق .. الثقافة دي تقولها على الحاجة اللي موجودة في أماكن ومش موجودة في أماكن تانية، لكن يا عزيزي الكل بيبوس.. العالم كله بيبوس.

✓ مش حقيقي .. تخيل إن فيه دراسة اتعملت سنة ٢٠١٥ أثبتت أن فيه ٤٦% بس من شعوب الأرض هي اللي بتبوس ودا معناه إن نص شعوب الأرض مش بتبوس ومش بس كده، دا فيه منهم مش بتعترف بالحركة دي أصلا.

- طب وعلى رأي أحمد حلمي في عسل أسود "مش بيبوسوا خالص .. طب وعايشين ازاي كده؟".

✓ عايشين زي الفل ودا بيأكد كلامي إن الموضوع دا مجرد اختراع تم انتشاره لحد ما بقت ثقافة وبرضه طالعة من عندنا في مصر.

- طب اشمعنى إحنا برضه، والموضوع مجرد بوس رومانسي ما بين حبيبين وخلاص.

✓ لا مش خلاص .. لأنه تقريبًا لما البوس الرومانسي عجب الناس، قرروا إنهم يستخدموه لأغراض تانية، فبقى فيه بوس السلامات.

- إيه بوس السلامات دا كمان؟!!

✓ بوس السلامات دا اللي بيستخدم في الترحيب أو التوديع وانت بتسلم على الطرف الآخر اللي بيكون من شفايف لخدود.

- طب ما دا عند الناس كلها.

✓ آه دا حقيقي .. بس عندنا بقى بيبين طبقتك ومنطقتك والبيئة اللي أنت عايش فيها كمان.

- مش فاهم.

✓ يعني مثلًا طبقة الناس البيزنس بتبقى البوسة بتاعتهم مرة واحدة وخلاص وغالبًا على الخد اليمين، أما النجوم والنجمات فبيبوسوا معجبيهم ببوسة ع الطاير اللي هي تحط بوسة على إيدك وتنفخ فتروح للفانز بقى، أما عن سكان القاهرة مثلا بيبوسوا بوستين بمعدل

واحدة على كل خد أو زي ما بيقولوا كده: "بوسة من هنا .. وبوسة من هنا"، إنما معظم المحافظات التانية بقى بتبوس أربع بوسات، بس أهالينا في القرى بقى هما اللي مشكلة لأن الناس هناك مرتبطين ببعض جدًّا والحميمية ما بينهم كبيرة فتلاقى البوسة بين الستات هناك بتبقى تقريبًا بتاع ٧ أو ٨ بوسات على كل خد ومتتابعة مع التوكيد الشديد على آخر بوسة اللي هي كده "مومومومومومووووووواه".

- وهو دا بقى الاكتشاف اللي أنت مجنني علشانه من الصبح؟!

✓ لا طبعًا .. برغم إن كل دي أشكال مختلفة من الحميمية في البوس بس كلها بتندرج تحت مسمى واحد ألا وهو بوس السلامات، لكن في أنواع تانية من البوس.

- اللي هو البوس الرومانسي.

✓ الثقافة عندنا تخطت الحته دي كمان، من حبنا وارتباطنا بالبوس في مصر بدأنا نستخدمه في أماكن ومواقف تانية كتير علشان تدل على أحاسيس مختلفة، يعني مثلًا لما تشوف أبوك بتبوس إيده احتراما له، ولو عايز تصالح الست والدتك اللي انت مطلع عينيها علشان تديك فلوس بتبوس راسها.

- تصدق صح .. فعلًا إحنا بنعمل دا كله بس برضه مش الشعب الوحيد اللي بيعمل كده.

✓ ما هو برضة الموضوع موقفش عندنا لحد كده، فتلاقي مثلًا اللي بيشكر ربنا بيبوس إيده وش وضهر، والبياع اللي على باب شارعكوا كل ما يكسب فلوس يبوسها قبل ما يحطها في جيبه كنوع من الشكر على الرزق، ولو مسكت المصحف بتبوسه وتحطه على راسك كنوع من الارتباط بيه بينما لو لقيت لقمة في الشارع بتبوسها وتحطها جنب الحيط مين بيعمل كده غيرنا.

- الحقيقة مافيش.

✓ طب خد عندك المصريين الوحيدين اللي أثبتوا إن البوس بيعالج الكدمات والجروح.

- نعم؟ !!!

✓ بص على أي أم لو حد من ولادها اتخبط مثلًا، تلاقيها على طول تاخده في حضنها وتقوله "فين الواوا يا حبيبي علشان أبوسهالك" وتروح بايسه مكانها، المشكلة إنها بعد ما بتعمل كده الطفل بيضحك ويرجع يكمل لعب، البوس دا مخدر موضعي وعلاج هايل، ودا اللي أكدته الفنانة هيفا وهبي في قصيدة الواوا لما قالت: "إليك الواوا بوس الواوا خلي الواوا يصح".

- لا مايصحش الحقيقة .. بس دا طلع علاج بقى.

✓ طبعًا .. وخد عندك الحقائق العلمية دي كمان.

أولًا: اكتشفوا إن زيادة إفراز اللعاب أثناء البوس بيمنع تراكم الجير أو البلاك على الأسنان، ودا طبعًا بيحافظ على صحة الأسنان وبيحميها من التسوس.

ثانيًا: تقبيل الزوج لزوجته الحامل في شهورها الأخيرة بيزيد من إفراز هرمون بذري مسؤول عن توسيع عظم الحوض واسترخاء رحم الزوجة وبيسهل عملية الولادة.

ثالثًا: اكتشفوا أن البوسة العادية بتحرك عضلتين بس ولكن بقا يا سيدي البوسة الرومانسية بتحرك ٤٣ عضلة ودا اللي بيخلي البوس الرومانسي في الواقع هو رياضة للقلب، وبتخلي عضلاته وشرايينه تتمدد، فيسمح بمرور قدر أكبر من الدم مما يساعد على تقوية القلب وتنظيم شرايينه، دا غير إن البوسة بتحرق من ٢-٣ سعر حراري في الدقيقة.

- كل دا في البوسة؟

✓ يا ابنى دا علم كبير اسمه علم الـ(philematology)، بس المشكلة إن في بعض أنواع البوس اختلف عليه العلماء زي بوس العيون. فمثلًا العالم الكبير وموسيقار الأجيال الدكتور محمد عبد الوهاب اكتشف أن بوس العين تأثيره مثل تأثير السحر ممكن يفرق بين المرء وزوجه، لذا قال مقولته الشهيرة "بلاش تبوسني في عينيا دا البوسة في العين تفرق"، بس مع مرور الزمن والتقدم العلمي بقى

وخصيصًا في عام ١٩٩٩ اكتشف العالم الرومانسي الأستاذ مصطفى قمر إن بوس العين بيقرب مش بيفرق ودا اللي أثبته في أغنية عينيك وحشاني لما قال "تعرف لو بُوست عينيك .. هتحس بخوفي عليك".

- يااااه دا حتى الفنانين عملوا دراسات على الموضوع؟

✓ طبعًا .. دا بهاء سلطان عمل أغنية كاملة اسمها بوسه .. أعلن فيها بكل صراحة عن مدى اشتياقه لحبيبته وقال علنًا كدا قدام الناس "ماعرفش ليه بغني لك .. هموت حبيبي أديلك بوسة"، دا غير (حكيم) اللي ركن الحكمة على جنب وطلبت معاه يبوس البت مهما حصل وقال "هجري عليه وأبوسه .. لو يعمل إيه هبوسه" اللي هو مش فارق معاه لا أداب ولا دياولوا.

- "هتتباس يعيني هتتباس، هنقفل الباب بالترباس وتتباس يا عباس".

✓ صح كدا يا مرسي يا زناتي هههههههه .. يعنى م الآخر لو عايز تعبر عن أي حاجة بوس على طول

لو بتحب الرومانسية بوس الشفايف.

لو بتحب السلامات بوس الخدود.

لو بتحب الاحترام بوس الإيدين.

لو بتحب الإيتيكيت بوس أعلى صوابع إيديها.

لو بتحب تتسهوك بوس كف إيديها من جوه.

لو بتحب الرضا بوس إيدك وش وظهر.

لو بتحب النظافة بوس النعمة وأركنها على جنب.

لو بتحب الرزق بوس الفلوس اللي بتكسبها.

لو بتحب الصلح بوس الراس.

ولو بتحب هيفا بوس الواوا.

- طب لو عايز أوصل لمدير الشغل بتاعي علشان أترقى أعمل إيه.. أبوسه من بوقه؟

✓ كدة انت بتحب التطبيل .. يبقى تبوس القدم وتبدي الندم حتى لو ماغلطتش في حق الغنم.

- طب لو عايز أكون سياسي أو معارض أو ناشط مشهور أبوس إيه.

✓ لا مش هتبوس .. في الحالة دي أنا اللي هبوس على راس الست الوالدة علشان تسيبني في حالي و(تطلع من نافوخي).

***

عربي مكسر

أكثر ما يزعجني ويحزنني بشكل كبير في مجتمعنا هو التمسك باللغات الغربية أكثر من لغتنا العربية بالرغم من كونها أجمل لغات العالم، وأصبح من سمات التقدم (والروشنة) أن يكون نصف حديثك باللغة الأجنبية، هذا بالإضافة إلى اختراع الفرانكو أراب والذي انتشر في كلامنا على الشات.

المشكلة الأكبر عندما تجد بعض الأسر وأولياء الأمور يفتخرون بأن أولادهم يتكلمون العربي المكسر، يشوبني إحساس بأن أعلق هذا الأب على أقرب حائط من "قفا قميصه" ولا أتركه حتى وإن بان له أصحاب حتى يجيبني عن سؤال واحد: "عمرك شوفت طفل في انجلترا بيتكلم إنجليزي مكسر، ولا أسرة في فرنسا بتفتخر إن ابنها بيتكلم فرنساوي نص نص؟".

المشكلة إننا اعتبرناها شياكة وتقدم حتى وإن قيل بتلك اللغة كلمات خارجة عن سياق اللياقة والأدب، فلا نتعجب إن قابلت فتاة تبدو عليها التربية وشكلها بنت ناس وتلفظت بشتيمة أو بأخرى أمام أهلها ولم تجد منهم أي رد فعل أو اعتراض، بل وتجدهم سعداء ونخورين لأن بنتنا عقبال عندك مثقفة وبتشتم بالإنجليزي، قال يعني

الأباحة لما تتقال بالإنجليزي ربنا هيعتبرها شياكة ولباقة ومش هناخد عليها ذنوب. وكأن سوء الأدب لا يكمن في التلفظ بكلمات أو عبارات خارجة وإنما يكمن في الطريقة أو اللغة التي تقال بها تلك الألفاظ.

يبدو أننا نسينا أو تجاهلنا أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسبنا على شكل الفعل وإنما الأعمال بالنيات، فنحن نحاسب على نية الفعل، فالشتيمة ستظل شتيمة وقلة أدب وعيب أيًّا كانت اللغة التي تقال بها حتى لو كانت لغة غير متكلمة مثل الإيحاءات أو الإشارات أو حتى بالموضة الجديدة والتي هي (الشتيمة بكلكسات العربيات).

من أوائل أهداف أي استعمار لإحكام السيطرة على مستعمره أن يجرده من لغته، لن أقول لك اقرأ في التاريخ ولكن انظر حولك وقل لي كم من دولة على مستوى العالم أبيدت لغتها ولا زالت برغم استقلالها منذ عقود تتحدث لغة المستعمرين، بينما على مدى سنوات طوال لم يستطع أي من الاحتلال الفرنسي أو الإنجليزي أن يحول بيننا وبين لغتنا الأم، بل إنهم رحلوا عن بلادنا وقد حولّت (الجود باي) و(الأوريفوار) إلى (مـاالسلامة يا خبيبي)، ولكن لأننا في بلد يستعجب من شعبها العجب فإننا نفعل في أنفسنا ما لم يحلم المستعمر يومًا أن يفعله، نحن من يستغنى عن لغته وثقافته وأصول دينه ودستوره من أجل اللهث وراء الشياكة والتقدم المغلوط من غير

لا إحم ولا إكسكيوزمي. هذا التلهف هو أحد أهم أسباب ما وصلنا له نحن العرب من هذا الضعف والهوان، فقد وصل بنا الحال أن تحوّل كل واحد فينا من مواطن عربي أصيل إلى (عربي مكسر) دون أن يدري.

جميل ورائع أن تتقن لغات أخرى وتغرف من ثقافات بلادها ما له من فائدة لك ولبلدك، بينما التخلي عن لغتك الأم هو التخلي عن أصولك وجذورك، وأوراق الشجر التي تتخلى عن أصولها ليس لها مستقبل إلا تحت أقدام المارين، لغتك هي هويتك وعنوانك اللذان لا يمكن التخلي عنهما في أي مكان، فكم ممن تخلى بإرادته عن هويته وأصوله فكان في استقباله أرصفة الطرقات.

عزيزي القارئ إن قابلت أحدهم يومًا وقد تفاخر أن أولاده لا يجيدون اللغة العربية إلا مكسر، فلا تقل له سوى جملة واحدة (اطلع من نافوخي).

***

خليهم .. يمكن نتزنق فيهم

كأي زوج طبيعي دخلت المطبخ لعمل كوب شاي، فتحت إحدى الدرف العلوية باحثًا عن السكر وإذا بزجاجات تهوي على رأسي، تسمع زوجتي من الخارج صوت ارتطام شديد وزجاج ينكسر فصرخت فزعًا: "إيه اللي اتكسر في الزفت المطبخ اللي أنا لسّا مروقاه"، فجاوبتها وأنا أتألم وأنزف: "فتحت درفة المطبخ الأخيرة و..

قاطعتني بصرخة فزع من نوعية: "يا لهوي".

فأكملت مطمئنًا إياها: "ما تخافيش أنا كويس دا جرح بسيط في دماغـ..".

قالت مقاطعة: "كسرت البرطمانات اللي أنا اتهد حيلي في رصها".

قلت متعصبًا: "وأنا اللي فاكرك بتصرخي علشان خايفة عليا، برطمنات إيه وزفت إيه". دخلت عليا غاضبةً فأصلحت نبرتي قائلًا: "إنتي أصلًا محتفظة بكل البرطمانات دي ليه؟"، قالت متعصبةً ونظرها تجاه البرطمانات المكسورة على الأرض: "علشان أحط فيها التوابل اللي بعمل لكم بيها الأكل بتاعكوا".

- توابل إيه دي اللي بتلمي لها برطمانات من البلد بحالها، دا البرطمان اللي راشق في دماغي ده تاريخ الصلاحية بتاعه منتهي مع العصر البطلمي والتاني عليه إهداء للملك فاروق بمناسبة عيد ميلاد ابنه الأكبر يا بعيدة.

أخيرًا نظرت لي وقالت: "طب ابقى خلي الملك فاروق يأكلك انت وعيالك بقى"، ثم جلست تنظر لقطع الزجاج وكأنه حلم عمرها الذي تهدم، تعصبتُ وعلا صوتي: "مش عايز آكل خالص وسايب لك البيت ونازل".

لاحقتني بفزع: "لا .. استنى .. رايح فين".

فقلت لنفسي: "كنت متأكد إني مش هههون عليها"، رديت وأنا أمثل الغضب: "ما قولت لك سايب البيت وخارج".

فقالت: لا .. ادخل الحمام اغسل راسك الأول علشان الدم ماينقطش ع السجاجيد اللي ضهري اتقسم في غسيلها ودعكها.

- "ارحمني يا رب"، قلتها ثم انطلقت نحو الباب فجاءني صوتها من الداخل "ماتنساش تاخد كيس الزبالة معاك وأنت نازل".

خرجت من بيتي وأنا أفكر في شيء واحد فقط، لماذا تحتفظ زوجتي بكل هذه البرطمانات الزجاج دون فائدة، بل لماذا تحتفظ كل الزوجات عمومًا بها، أعلم جيدًا أن هناك مرضا نفسيا معروفا

بالغرب يسمى (الاكتناز القهري) هذا المرض الذي يجعل المريض مقبلًا دائمًا على الاحتفاظ بكل أشيائه حتى الجرائد والمجلات القديمة بداعي أنه بالتأكيد سيحتاج إليها وهو ما يجعل غرفهم تتحول إلى مقلب من الأشياء القديمة التي تتكدس لدرجة أنه لا يجد مكانًا له ينام به.

ولكن ما يحدث في بيوتنا جميعًا لا يمكن أن يكون هذا المرض، أو أننا استدرجنا هذا المرض في بلادنا وقمنا بتجنيسه وترويضه كما يحلوا لنا فحولناه إلى ثقافة تعم بيوتنا وديكورًا نشترك فيه جميعًا دون أن نتفق.

فمثلًا بواقي صابون الوجه، كان أجدادنا قديمًا يجمعونها للاستخدام في مرحلة (الغليّة) للغسيل وكانوا يسمونها "بروة" ذلك في عصر الغسيل اليدوي بالباجور وعصا الغلية، ولكن لماذا ونحن في عصر الفول أوتوماتيك ما زالت تلك القطع تزين صبانات البانيو في جميع حماماتنا.

وماذا عن فرش الأسنان القديمة لماذا نصر على تركها فوق أحواضنا بالرغم من تركها واستبدالها بأخرى جديدة مثلها كمثل المساحة القديمة المكسورة التي لا زالت تعاني الوحدة بجوار الحوض.

أما عن البرطمانات الزجاج التي فتحت نفوخ سعادتي فهي ليست الشيء الوحيد القديم في مطابخنا ولكن عزيزي القارئ انظر

حولك، فزجاجات المياه الغازية والصابون السائل وعلب الشامبو الفارغة لماذا نتركهم تحت تقفيلة حوض المطبخ منذ سنوات، ثم تشتكي ربة البيت بعد ذلك من الحشرات الزاحفة التي لا تعرف (بييجوا منين دول رغم إنها يا حرام طول النهار بتنظف ومش مخلية قشاية) هذا بالإضافة إلى سلك المواعين المصدي بجوار خلاط مياه المطبخ، ثم العلب الكارتون وكراتين البيض الفارغة المرصوصين فوق سطح الثلاجة.

بمناسبة الثلاجة عزيزي القارئ، إذا اقتربت منها يومًا وسمعت صوت أنين يصدر منها فأرجوك لا تفزع إنه صوت نص الليمونة الناشف الكائن بإحدى فتحات درج البيض والتي تصر كل ست بيت على تركها دون سبب معروف ربما نوع من التفاؤل أو اعتقادهم أنها تمنع الروائح والأرواح وعين الحسود مثل الخمسة وخميسة، لذا أرجوك عزيزي القارئ رحمة منك بهذا الفص المغلوب على أمره أن تأخذه في غفلة من ست البيت وتكفنه في أي منديل ورق وترميه لأن العصر في الميت حرام وإكرام المعصور دفنه داخل سلة النفايات.

أدعوك الآن لنخرج من المطبخ لكي تشرح لي أسباب احتفاظنا بالبطاريات القديمة الخاصة بألعاب أطفالنا وريموتات الأجهزة المختلفة داخل أدراج الكمودينو والجرائد القديمة التي اصفر

لونها داخل البوفيه. أما عن البلكونة الصغيرة فحدث ولا حرج عن عربية الأطفال القديمة المكسورة والتي تعد من أهم ملامح بلاكوناتنا والتي تحوي الكثير من التفاصيل من التراب المخلوط بقشر البصل ورأس الثوم الساقطة من الرابطة المعلقة على الماسورة الخلفية وسلك التليفون القديم ولعب الأطفال القديمة المكسورة والتي من أهمها على الأطلاق رأس العروسة المكسورة والتي تفزعك دومًا بمجرد دخولك إلى البلكونة فتجدها (مبرقالك) من العربية ويا ليتها سليمة فلا بد دومًا تجدها بعين واحدة ومخرومة أو طالعة لبرة أو متشالة خالص ذلك حسب حظها مع دكتور التشريح الذي كان يستخدمها.

أعرف أنهم أطفال ومن حقهم يلعبوا ويستكشفوا ولكن أي حق ذلك الذي يسمح لنا أن نوافق على أن مرز زي القمر مثل إيلسا وباربي وصوفي وفله يتم تشويههم بهذا الشكل ونحولهم لزومبي بدون جسد، ونرجع نزعل من العنف ضد المرأة ونتعجب من انتشار تجارة الأعضاء بعد ما خلينا أطفالنا يعملوا كدا فيهم ويخلوا كل لا مؤاخذة عضو منها مرمي في حتة لوحده بهذا الشكل، إيه يا جدعان ماعندكوش اخوات بلاستيك .. ولا حتى سيليكون؟

وحتى لا تشعر بالملل مني فلن أكمل حديثي معك عن زجاجات طلاء الأظافر والبرفيوم التي تملأ أدراج تسريحة سعادتك ولن أتحدث عن علب الشوزات والصنادل المرصوصين في أرضية الدولاب.

وإن كنت صاحب ملك ولديك بدروم أو جراج فلن أحدثك عن العجلة القديمة ولا البطارية والإطارات التالفة، دا بخلاف جراكن الزيت الفارغة.

المشكلة أن تلك العادة المتوارثة بيننا بدأت تطفو على السطح لدرجة أن في ثورة ٢٥ يناير وخاصة في جمعة الغضب عندما صعد البلطجية فوق أسطح العمارات المحيطة بالميدان وبدأوا في رشق المتظاهرين بقطع السيراميك وبواقي الأحواض ومقاعد الحمامات مما أصاب العديد من المتظاهرين بجروح شديدة وخطيرة وكان يومًا دمويًا، أفردت بعض الصحف العالمية مقالات تتساءل بكل استغراب وتعجب: لماذا يضع المصريون حماماتهم فوق أسطح المباني؟

أرأيتم ما حدث .. أهي عاداتكم غير المفهومة فضحتنا قدام الأجانب، هل يعتقدون الآن أننا نحب قضاء حاجتنا في الهواء الطلق، وكيف سأصحح لهم هذا المفهوم؟، كيف سأقول لهم أننا كان من المفترض أن نرميهم ولكننا غيرنا رأينا وقولنا: نخليهم.. يمكن نتزنق فيهم.

لا بد وأن نترك تلك الثقافة التي تستوطن بيوتنا وتعشش فيها، ولا تسألني كيف اشتركنا في نفس تلك الأشياء دون أن نتفق، إذا أردتني أن أجيب عليك فقل لي أولًا كيف اتفق جميع بائعي الفول على نفس شكل العربية ونفس ألوانها وكيف اتفق بائعو الجاز أن

يكون نداؤهم جرسا، وبائعو أنابيب البوتاجاز على طرق الأنابيب بمفتاحها وبنفس النغمة كل هذا قبل عصر السوشيال ميديا والمحمول وحتى قبل وجود التليفونات الأرضية، فلو لديك إجابة أرجو أن تفيدني بها لعلي أعرف من ذا الذي أقر وأصدر بيانًا على جميع أنحاء البلاد قديمًا ليشترط علينا أن أنسب كلاكس في زفة العروسين بالسيارة هي (تيييت تيييت .. تت تت تيييت) فلعله يقر لنا نغمة أخرى غير تلك النغمة (بنت التيييت) أو يلغيها أو يقر طريقة تجعلها (تطلع من نافوخي).

***

- (الفصل الثالث) -

كراكيب

المرحومة عملتلي لايك

لاحظت في الفترة الأخيرة أثناء متابعتي لموقع التواصل الأول في عالمنا الحديث (الفيس بوك) العديد من التدوينات المتشابهة في مضمونها والتي أصابتني بالدهشة.

ذلك أن تلك التدوينات تعبر عن مدى احتياج صاحبها واشتياقه لوالديه (أحدهما أو كليهما) وخاصةً إن كان الوالدان في سفر منذ فترة أو أنهما قد توفاهما الله.

وأسمعك الآن عزيزي القارئ وأنت تسأل وما المدهش في ذلك؟ لم يكن اندهاشي أيها القارئ العزيز من التشابه الموجود في الكلمات أو شكل أو حتى مضمون التدوينة وإنما تأتي دهشتي من التشابه الكبير في الحالة الاجتماعية والعاطفية لأصحاب هذه التدوينات.

فهم غالبًا من الفتيات اللاتي يعانين من فراغ عاطفي كبير، ذلك الفراغ الذي يأتي نتيجة أحد سببين:

أولهما: هو الخروج من تجربة عاطفية قاسية قد ألمت بصاحبة التدوينة وتركت بقلبها جرحًا كبيرًا، أما السبب الثاني هو الملل الشديد

من تأخر فارس الأحلام الذي على ما يبدو أن فرسه قد شرد به في زحام طرقات بلدنا الحبيب.

ولن أخفيك سرًّا عزيزي القارئ أنه أحيانًا .. بل كثيرًا ما تصدر تلك التدوينات والبوستات أيضًا من تلك الزوجة العاطفية والمحبة لزوجها والذي انشغل عنها نظرًا لظروف الحياة الصعبة.

اختلفت الأسباب والنتيجة في النهاية واحدة .. وهي إصابة القلب بنقص شديد في مشاعر المشاركة الوجدانية والعاطفية والتي قد يصل أحيانًا لحد الجفاف.

نعم يا صديقي فالقلوب كالورود تحتاج دائمًا لأن تكون مبللة بماء الود والمحبة، ذلك الماء الذي يأتي دائمًا عن طريق نهر واحد يسمى التواصل والمشاركة الوجدانية.

فتلك التدوينات والمنشورات هي بمثابة إعلان غير مباشر من صاحب التدوينة عن إحساسه بالفراغ العاطفي ولو حتى أثناء اللحظات التي يكتب فيها تدوينته.

وبالطبع أنا لا أقصد بكلماتي هذه التقليل من مشاعرهم تجاه آبائهم وأمهاتهم أو أن يفهمني بعض الناس خطأً أنني أتهمهم بالمتاجرة بظروفهم الاجتماعية من أجل البحث عن الحب من خلال مواقع الإنترنت، أؤكد لك عزيزي القارئ أنني هنا أتكلم عن الفتيات اللاتي لا أشك لحظةً في أخلاقهن وسلوكهن الرفيع.

فالسيئات من البنات لا يتعرضن غالبًا لتلك الحالة فهن لا يتأثرن كثيرًا بالفراق عن الحبيب لأنهن غالبًا ما يجدن غيره سريعًا. ولكنني هنا أتكلم عن تلك الفتيات والسيدات الطاهرات اللاتي استبدلن مشاعر الاشتياق للحبيب بمشاعر الاشتياق للوالدين التي هي من أطهر علاقات الحب على المستوى الإنساني.

وأريدك عزيزي القارئ أن تفكر معي قليلًا ... في اعتقادك ماذا كانت تنتظر هذه الفتاة بعد أن كتبت مثل تلك التدوينة على صفحتها الخاصة؟ ، هل تنتظر مثلًا "لايك" من أبيها (الله يرحمه)؟ أم أنها تنتظر "كومنت" من والدتها (اللي هي الله يرحمها برضه)؟

لك أن تتخيل أن تقوم البنت بكتابة "البوست" ليلًا وتنام دمعها على خدها ثم تقوم صباحًا ملقيةً نظرةً على صفحتها فتجد الحاجة والدتها - الله يرحمها - عاملة لها "كومنت" بتقولها فيه: "وانتي كمان وحشتيني قوي يا بنتي تعاليلي بقى علشان أخدك في حضني" ..

لن نستغرب وقتها أبدًا إصابة البنت بصرع أو تبول لا إرادي على أقل تقدير.

إذن ما الشيء الذي ينتظره أصحاب هذه "البوستات"؟ .. هم يريدون الشعور بأن هناك من يقف بجانبهم ويهتم بأمرهم وهو بالطبع ما يجدونه في تعليقات الأصدقاء من دعاء ومواساة وتصبير، فهي في

أشد الاحتياج إلى أن يشاركها أصدقاؤها مشاعرها وأن يملؤوا عليها وحدتها .. مش كدا ولا إيه؟

والدليل على كلامي أن الذين لديهم نفس الظروف العائلية ولكنهم يمرون بحالة عاطفية مستقرة غالبًا لا يكتبون مثل تلك العبارات، وحتى أصحاب التدوينات السابقة أنفسهم لم يكتبوا تلك التدوينات في الأيام التي عاشوا فيها حالات عاطفية مستقرة وسعيدة.

الغريب أيضًا أن أبطال مقالتي هذه عندما يكتبون تلك التدوينات يكون شعورهم أن الدنيا من حولهم أصبحت فضاءً مظلمًا لا يملؤه شيء، وسرعان ما يتلاشى ذلك الإحساس وتضيئ الدنيا بتعليقات و"كومنتات" الأصدقاء وكأن الدنيا أصبحت من حولهم وبين أيديهم.

تخيل .. المشاركة بمجرد كلمة طيبة على موقع التواصل يحول ظلام إنسان إلى نور، والوحدة إلى مشاركة، والحزن إلى سعادة، فما بالك إذا كانت تلك المشاركة من خلال مكالمة تليفونية ماذا سيكون الحال؟

وتخيل أيضا حال هذه الفتاة الوحيدة بمشاعرها إذا دق بابها الموصد (بترباس) الوحدة لتجد أمامها أصدقاءها الذين أحسوا بها وذهبوا إليها ليقوموا باحتوائها وليملؤوا عليها وحدتها، أنا متأكد من أنه

سوف يتكون لديها فائض من احتياطي المشاعر والتي سوف تقوم بدورها بإلقائها على غيرها ممن يعانون من نفس الحالة.

ويحضرني الآن حديث رسولنا الكريم محمد (ﷺ) والذي أريدكم أن تتأملوا جيدًا كل كلمة فيه عندما قال "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الجسد بالسهر والحمى" .

يا سلاااااام (الود - الرحمة – العاطفة) لو سمحت عزيزي القارئ ارجع حالًا واقرأ الحديث مرة أخرى بتمعن وسوف تشعر بقشعريرة وكأنك تقرأ هذا الحديث لأول مرة.

إذا كنت قد ذكرت في أول كلامي أن الفيس بوك هو موقع التواصل الاجتماعي الأول في عصرنا هذا - فسبحان من جعل الدين الإسلامي هو موقع التواصل الاجتماعي الأول على مدار التاريخ.

في النهاية أستحلفكم بالله (لا تجعلوا أكواب المشاعر في قلوب أهاليكم وأصدقائكم فارغة واملؤوها دائمًا بخير القول والعمل والتواصل والحب في الله فهذا أطهر لهم ولكم).

***

حُب أكتوبر ٧٣

قبل أن أبدأ الحديث معك عزيزي القارئ أرجو أن تتحمل بواختي وغلاستي وتعود إلى العنوان وتقرأه مرة أخرى.

بالضبط كما قرأته .. (حُب أكتوبر ٧٣) لا يوجد أي خطأ مطبعي، للأسف تلك هي الحقيقة المرة التي يصدرها لنا الإعلام منذ أكثر من ٤٥ سنة.

مصر لم تكن في حالة حرب بل كانت في حالة حُب، ألاحظ الآن استغرابك مما أقول وقد يساورك الشك أن كاتب هذه السطور يريد التقليل من هذا الحدث الكبير ولكن أمهلني لحظات حتى أوضح لك مقصدي.

تعال معي نعود معًا بذاكرتنا (فلاش باك) لأفلامنا التي تكلمت عن حرب أكتوبر المجيدة خلال السنوات الكثيرة السابقة، ولكن قبل ذلك أود أن أهنئك أولًا لأنك قرأت كلمة حرب هذه المرة بشكل صحيح.

لو راجعنا معًا جميع الأفلام التي تحدثت عن حرب أكتوبر سنجد مشهدًا رئيسيًّا مشتركًا ما بين كل تلك الأفلام والمشهد كالتالي:

شمس الظهيرة ترمي بنورها على أبواب قهوة شعبية في حارة شعبية بحي شعبي ويملؤها أناس شعبيون، تتعالى من داخلها أصوات الضحكات مختلطة بصوت الملاعق التي تداعب أكواب الشاي والبندق والينسون ولا يعلو عليهم سوى صوت طرقعات الطاولة تلك اللعبة الشعبية الأولى على مستوى مقاهي مصر، بينما يتخللها صوت الواد "صاصا" القهوجي وهو يقول:

"وعندك واحد شاي في الخمسينة للمعلم بيومي العترة وصلحه".

فجأة تتحول الكاميرا لراديو قديم مربوط من منتصفه بخيط سميك أبيض غامق يطلق عليه (دوباره) ومتشعلق ع الحيطة بشكل يشعرك للوهلة الأولى أن هذا الراديو الحزين واخد حكم بالإعدام في حادثة دنشواي .. هذا الراديو الذي لم يكن له حس ولا خبر منذ بداية المشهد، فجأة وبدون سبب معروف تدب فيه الحياة من جديد وينطق المذيع من داخله بصوت قوي ومجلجل: "أيها السادة إليكم البيان التالي"، وهنا يعم الصمت المكان ويترك الناس اللعب ع المشاريب ويتركون المشاريب ذات نفسها كمان ويتجهون بأبصارهم إلى الراديو، غير أن مجموعة من الجالسين تركوا أماكنهم وتحركوا بعض الخطوات باتجاه الراديو مبحلقين فيه وكأن الصورة في الراديو مش واضحة أو أنهم بيتعجبوا من ذلك المخلوق الإليكتروني الذي نطق ودبت فيه الحياة وهو الذي كان ميتًا لا يسمع له حس منذ قليل.

يعود بعد فترة صوت المذيع مرة أخرى الذي يبدو أنه كان يبحث عن البيان اللي هيقوله "نجحت قواتنا المسلحة في عبور قناة السويس وتخطي حاجز "برليف" المنيع ووهاااااااااااااااااا الله أكبر الله أكبر".

بالطبع (هاااااااااااااااااا الله أكبر الله أكبر) لم يكن صوت المذيع بل أصوات الناس الذين لم ينتظروا حتى يعرفوا باقي البيان، فغطوا بصيحات الفرحة على صوت المذيع بينما يقوم المعلم أبو شنب صاحب القهوة وينادي ع الصبي بتاعه: "ولا يا صاصاااااااا .. حساب المشاريب بتاعت الناس دي كوووووووولها على حسابي النهار ده"، ومع تحيات الناس للمعلم على الرشة الجريئة دي يعود صوت الراديو مرة أخرى بأغنية (بسم الله- الله أكبر- بسم الله) اللي أُلفت ولحنت وسجلت وأذيعت في نفس ذات اللحظة اللي أعلن فيها المعلم أبو شنب على (كادو) المشاريب المجاني. ثم ينتهي المشهد عزيزي القارئ بخروج جميع أهل القهوة والبيوت المجاورة في الشارع راقصين مهللين مع أنغام تلك الأغنية التي لا أعلم حتى الآن كيف استطاعوا أن يرقصوا على هذا الإيقاع العسكري.

وبصرف النظر عن أن حرب أكتوبر كانت في عز الظهر في شهر رمضان، مما يعني أن الناس كانوا في حالة صيام وهو دليل على مدى الاستهتار التي صنعت به تلك الأفلام، إلا أنه مع التدقيق ستجد أن جميع الأفلام تحمل تقريبًا نفس القصة والمضمون ولكل مؤلف ومخرج

أن يضع (التاتش بتاعه) في نهاية الفيلم، فالأفلام عزيزي القارئ كانت كالتالي:

أولًا: يرفع الستار عن قصة حب ما بين بطل الفيلم والذي بالطبع هو أحد أفراد الجيش المصري ما قبل الحرب.

ثانيًا: يتم استدعاء البطل للجيش مع توجس البطلة خيفةً حيث ينتابها شعورٌ أن تلك المرة ليست كسابقتها من المرات مع حضن خفيف كدا من البطل.

ثالثًا: تأتي ساعة الصفر وصور مكررة في كل الأفلام من مشاهد تسجيلية للحرب ويجب أن تبدأ بالطبع بالضربة الجوية.

رابعًا: وهذا هو الجزء المخصص لخيال صناع الفيلم ولهم الحق في الاختيار ما بين (موت البطل – البطل رجع واتجوز البطلة - البطل اتشل بعيد عنكوا من الخضة وقطعوا له رجله)

خامسًا: يسدل ستار الفيلم بكلمة النهاية وكل عام وحضراتكم طيبين.

تخيلوا حضاراتكم .. أكثر من ٤٥ سنة عدت على حرب أكتوبر، تلك الحرب التي تحمل تخطيطا وتحضيرا وكواليسَ وبطولاتٍ تصنع أربعين فيلما مش فيلم واحد ومع ذلك لا نملك فيلمًا واحدًا يتحدث عنها بما يليق بقدرها وعظمتها.

الآن أسمعك عزيزي القارئ وأنت تقول أن الموضوع ليس بهذا السوء وأن كاتب هذه السطور من أصحاب الأقلام السوداء والتي تحب التشويه والتضليل مع التهويل طبعًا، والدليل أن هناك الكثير من الأعمال التي يشار لها بالسبابة ولها رونقها وجودتها.

فعلى سبيل المثال وليس الحصر هناك مسلسلات رائعة مثل (رأفت الهجان - دموع في عيون وقحة - السقوط في بئر سبع - الصفعة والعميل ١٠١) هذا بالإضافة إلى سلسة الأفلام الرائعة والتي منها (الطريق إلى إيلات - إعدام ميت – يوم الكرامة وأخيرًا فيلم الممر) .. دا طبعًا غير الأفلام الأسطورية لنجمة الجماهير نادية الجندي تلك النجمة التي عانت الأمرين وتألمت كثيرًا أثناء (مهمة في تل أبيب) حتى أنه يقال أنها اضطرت لإعادة عمل المونوكير والباديكير أكثر من مرة بعد عمليات التعذيب التي شهدتها بالفيلم.

وبصرف النظر عن المستوى الفني لتلك الأعمال والتي من بينها أعمال لا خلاف على جودتها وأنها في قمة الروعة، إلا إنها جميعًا لم تتحدث عن حرب أكتوبر وإنما تحدثت جميعها عن عمليات استخباراتية وعسكرية تمت أثناء حرب الاستنزاف تلك الفترة التي سبقت حرب أكتوبر بفترة.

أكثر من ٤٥ سنة مرت على أكبر معركة ونصر في تاريخ مصر الحديث بل وفي تاريخ العرب أيضًا ولم نجد فيلمًا يحكي لنا كيف تمت تلك الحرب وكيف كان التخطيط والتجهيز والترتيب لها، كيف تم تنظيم الخطوط وكيف مررت التوجيهات والتعليمات للخطوط المختلفة على أرض المعركة.

لم نجد فيلمًا واحدًا يحكي لنا البطولات الفردية والجماعية والتي ما زال العديد من أبطالها يعيشون بين أيدينا ويمكن أن يحكوها لنا ويحكوا لنا عن أبطال ضحوا بأرواحهم من أجل أن نعرف نحن معنى العزة والكرامة.

كنوز من الحكايات والإنجازات والانتصارات تركها هؤلاء الأبطال لأهل جيلهم من الإعلاميين والمثقفين لكي يحتفظوا بها ويوثقوها، فبدلًا من أن يصدروها لنا ولأبنائنا صدروا الطرشة، وما كان منهم إلا الإهمال الشديد والتفريط الغريب وغير المفهوم على جميع المستويات من السينما والتلفزيون وحتى الكتب الدراسية وقصص الأطفال التي اختصرت الحرب كلها في كلمتين فقط ظلوا يرددونها على أسماعنا ليلًا نهارًا طوال السنوات السابقة، ألا وهي (الضربة الجوية) والتي بالطبع لم نجد بطلًا فيها غير (صاحب الضربة الأولى) ويا ليتهم حتى صنعوا فيلمًا حقيقيًّا محترمًا يحكي لنا أبعاد أبطال تلك الضربة وكيفية تحقيق أهدافها وبطولاتها إلا أنها أيضًا لم

تسلم من التشوية والتسفيه تحت أعين قائدها وتم اختصارها في شوية أوبريتات من نوعية "أول طلعة جوية فتحت باب الحرية وعلشان كدا إحنا اخترناه" .

هكذا هي حرب أكتوبر كما علموها لنا ولأبنائنا، على مدى أكثر من ٤٥ عامًا ونحن نحتفل بحرب لا نعرف عنها شيئًا سوى الضربة الجوية فقط ولم نجد عملًا واحدًا حقيقيًا يكرم أبطالها وينقش قصصهم في صدورنا وفي صدور أجيال قادمة لا يجدون مصدرًا لمعلوماتهم سوى صفحات السوشيال المشوهة والموجهة.

أما آن الأوان لكي نعرف ويعرف أبناؤنا حرب أكتوبر على الوجه الصحيح، ويعرف كيف كان الشعب المصري يشتاق لتلك اللحظة التي يتخلص فيها من عدو غاشم احتل الأرض وقتل العمال في المصانع والأطفال في مدارسهم ليظهروا بعدها على مرأى ومسمع من العالم وهم يضحكون ويشربون نخب الانتصار في قتل أطفال ماتوا دون أي ذنب.

فيا كل قائم على الفن في بلادنا، إما أن تصنع لنا فنًّا حقيقيًّا يظهر لنا أمجادنا أو لتصمت و(تطلع من نافوخنا).

ويا كل مهتم ويا كل محب لهذا الوطن ادعُ معي أن يرزقنا الله بمسئولين يقدِّرون معنى إعلاء الكرامة والعزة فوق المصالح الشخصية وادعُ معي على كل من اختزلوا الحرب في الحب أو في الضربة الجوية أن (جاتهم ضربة جوية في دماغهم تجيب لهم جرب في قاع المخ ما يوعوا يهرشوا البُعدا) قولوا آميين.

***

ورينى عرض هتافك

(انزل)

(عيش حرية عدالة اجتماعية)

(الشعب يريد إسقاط النظام)

(ارحل)

أربعة هتافات شكلت أربع مراحل قامت عليها ثورة يناير، وأربعة عناوين لأربعة فصول في كتاب يسمى ثورة يناير.

لا خلاف أن ثورة يناير بكل تطوراتها ونتائجها كانت مفاجأة، سواء كنت تراها ناجحة أو في طريقها للنجاح أو حتى إن كنت تراها فاشلة، مفيدة كانت أم غير ذلك، المهم أننا متفقون على أن ثورة يناير كانت مفاجأة مدوية ومن العيار الثقيل وقد أسفرت عن نتائج غير متوقعة في حينها.

تلك الثورة التي أظهرت لنا ولأول مرة قوة جديدة لم نكن نعرف عنها شيئًا من قبل، قوة استطاع بها الشباب الأعزل أن يزلزل كيان مسئولين لم يزلزلهم حتى زلزال ١٩٩٢.

تلك القوة الخفية التي استطاعت أن تسقط نظامًا بأكمله وتجبر القوة البوليسية العنيفة في هذا التوقيت على التراجع أمام الشباب

الذي لم يكن يملك غير سلاح واحد ولا شيء غيره .. هذا السلاح اسمه (الهتاف).

فهل للهتاف ذلك التأثير الذي يغير أنظمة دول ويغير مسارات شعوب؟ .. هذا هو السؤال الذي طالما أوقفني وأخذ حيزًا لا بأس به من التفكير، فكثيرًا ما رأينا مسيرات ومظاهرات وبها العديد من الهتافات المختلفة دون أي تأثير يذكر، فلماذا زلزلت الهتافات هذه المرة تلك الكيانات الصلبة واسمعتهم كل حرف بها وقد كانوا من قبل ذوي آذان صماء.

أعلم عزيزي القارئ أنك تمتلك ذاكرة جيدة وأنك حتمًا لم تنس أن ثورة يناير بدأت بمسيرات صغيرة يخرج من جوفها هتاف واحد فقط .. هتاف مكون من كلمة واحدة لا غير (انزل) ...

(انزل) هو الهتاف الأول الذي بدأت به الثورة، (انزل) لم تكن مجرد كلمه بل مطلب، مطلب من الشعب المنادي بالتظاهر إلى الشعب المنتظر في المنازل. (انزل) تلك الكلمة التي صدقها واستجاب لها مئات الآلاف من المصريين وقاموا بالنزول والانضمام للمسيرات المتوجهة إلى ميدان التحرير وما يوازيها من ميادين أخرى في جميع محافظات الجمهورية ليجتمع الملايين في المحافظات بسببها، ويتكاتف الشعب بجميع فئاته جنبًا إلى جنب، وكتفًا بكتف، وقلبًا على قلب، وروحًا مع روح.

(انزل) كانت مجرد كلمة ولكن أحسها كل من سمعها على إنها واجب وطني ونداء يجب تلبيته، خرج الشعب الذي قيل أنه لن يتحرك حتى ولو تحرك أبو الهول، تحرك بفعل كلمة (انزل).

بعدها ظهر الهتاف الثاني للثورة، وهو في نفس الوقت المطلب الأول من قلب الميدان والبيان رقم واحد من الشعب المصري الغاضب إلى النظام الحاكم (عيش .. حرية .. عدالة اجتماعية)

وبالرغم من أن العيش والحرية والعدالة الاجتماعية هي مطالب عادية وعادلة وليس بها أية رفاهية، بل هي الحد الأدنى لكرامة المواطن في وطنه، إلا أن قوتها وتركيزها جعلتها طبول خطر تدق على أبواب الحكام وزلزالا تهتز له الأرض من تحت عروشهم وأمواج تسونامي يمكنها أن تقلب جميع الكراسي على رؤوس أصحابها، فبدلًا من إرضاء الشعب بمطالبه العادية يمكن القول أنهم استكثروها على الشعب فأتت الريح بما لا تشتهي السفن وقابل النظام المتظاهرين بعنف وبضرب وسحل وقتل بل ودهسهم أيضا تحت عجلات سياراتهم المصفحة.

ولو خرج علينا الرئيس في ذلك الوقت ببيان أكد فيه أنه استمع جيدًا لمطالب هؤلاء الشباب وأنها مطالب مشروعة وقام باتخاذ قرار إقالة الحكومة وتحويلهم للتحقيق لتغيرت جميع الأمور وتحولت

المظاهرات من غضب إلى مظاهرات فرحة ولوجدنا الرئيس محمولًا على الأعناق.

ولكن يبدو أن النظام كان قد تعود فقط على الحلول القمعية أو لا يعرف غيرها في إنهاء الأمور، أو اعتبروا المطالب تجرُّؤًا عليهم، فكيف يهاجمهم الشعب وكيف يخالفهم في الرأي.

مطالب عادية أحسوها بقلوبهم المشوهة أنها طبول الحرب عليهم وعلى مناصبهم وكراسيهم فردوا بحرب كانوا هم الخاسرين فيها بالرغم من أن الفائز طرف مغلوب على أمره وأعزل.

مع كل هذا القمع والوحشية التي فوجئ بها وواجهها المتظاهرون لمجرد أنهم طالبوا بأقل حقوقهم من أجل حياة كريمة، عرفوا وأيقنوا جميعًا في هذه اللحظات أن النظام يريدهم كما هم لا رغداء في العيش، لا مخالفة للأوامر، ولا كرامة لهم أيضًا.

هنا وتحت سقف من سحاب الغاز المسيل للدموع وبين حوائط من الغشم وأمطار الخرطوش أيقنوا أنه لا مناص إلا الخلاص، ولا تحرير إلا بالتغيير.

فأطلقت جميع الأفواه مطلبًا واحدًا (الشعب يريد إسقاط النظام) لتأخذ المظاهرات منحنًى جديدًا على طريق الحرية من القمع.

(الشعب يريد إسقاط النظام) هو الهتاف الذي يمكنك أن تعتبره عزيزي القارئ البيان الثاني من الشعب للنظام ومعه تحولت المظاهرات من مجرد شكل من أشكال الاعتراض إلى ثورة حقيقية.

العند والتجاهل واللامبالاة جعل (الشعب يريد إسقاط النظام) هو البيان الرئيسي والمطلب الرئيسي لثورة يناير. وهو الهتاف الذي حول المتظاهرين من موقف المدافع عن نفسه إلى المهاجم من أجل التغيير، ومعه غارت قوى الشعب وخارت قوى الشرطة وفي لحظات يشوبها الغموض انسحبت واختفت القوى البوليسية من المشهد تمامًا وحل بدلًا منها اللجان الشعبية.

هنا توقفت عقارب الساعة وتسلطت أنظار العالم على مصر وتغيرت قوانين اللعبة على الأرض كل هذا تحت سقف واحد يعلو في سماء مصر (الشعب يريد إسقاط النظام).

مع هذا التطور الرهيب الذي غير من مجريات الأمور، وأصبحت القوة في يد الشعب الذي حكم على الرئيس بكلمة واحدة ألا وهي (ارحل). تلك الكلمة التي عرف النظام معها جيدًا ما آلت إليه الأمور وأن حوائط الصد قد انهارت فبدأت لعبة المفاوضات واللعب على كسب التعاطف. فبدأ النظام في تقديم العروض والتنازلات والتي كان منها إقالة الوزارة إلى التأكيد على عدم التوريث ثم خطاب "لم أكن أنتوي الترشح" ثم الدعوات من أنصاره

على الفضائيات من أنه لا ضير من أن يكمل الستة أشهر الباقية له في الحكم وما تلاها من الخطابات العاطفية والتي راهن فيها النظام على عاطفة المصريين والدخول لهم من هذا الباب.

نظرية التعاطف فكرة جيدة وكارت مؤثر على كل حال، ولكن ليست في هذه الحالة. صحيح أنه من الممكن أن تقنع الفرد أو الجماعة بالتراجع وإمهال الفرص ولكن كيف يمكنك أن تقنع الطوفان أن يرجع؟!

المطلب واحد (ارحل) والهدف واحد (ارحل) والمعنى واحد (ارحل).

ولكن يبدو أن بعض المنحازين والمسئولين وأصحاب المصالح والسبوبة قد صموا آذان قلوبهم فلم يفهموا معنى الكلمة وطالبوا الطوفان بالرجوع فكان الرد: "مش هنمشي، هو يمشى".

(ارحل) هو الجواب النهائي والحل الصحيح والوحيد لدى المصريين، فكان ما كان وانتصر الشعب على الرعب، وهزم المحكوم الحاكم، حتى جاء خطاب التنحي.

عزيزي القارئ إن الهتاف كلمة، وثورة يناير كشفت لنا قوة الكلمة إذا ما تم استخدامها بطريقة صحيحة، وها قد رأينا كيف استفدنا منها في ثورة يونيو فاستخدمها المنظمون كدعاية أساسية للمشاركة في ثورة يونيو .. عندما كان الشعار (انزل).

في السنوات التالية للثورة رأينا العديد من المظاهرات لجماعات متفرقة دون جدوى، فلا تشعر لها بهدف محدد ولا تأثير يذكر، يمكنك متابعة مسيرات كاملة لهم دون أن تعرف ما هو الهدف الحقيقي وراءها، وذلك لأن الهتاف في هذه المظاهرات تحول من سلاح تؤخذ به المطالب إلى استعراض فني وغناء يتباهى به القائمون على المسيرة أو المظاهرة.

وأصبحت المسيرات تتباهى أمام بعضها البعض بالهتافات والأناشيد الجديدة ويتم تصويرها وعرضها على اليوتيوب وبالتالي تداولها على مواقع التواصل بأسماء الأناشيد.

هتاف ثورة يناير كان مطلبًا محددًا خرج من قلب الشعب دون تفكير، أما الهتاف في مسيرات الجماعات فيتم الإعداد لها من قبلها بفترات عن طريق مجموعة مؤلفين فتخرج المسيرة متحولة من مظاهرة غضب أو تأييد إلى كورال غنائي ينقصها بعض القفزات والدورانات من المتظاهرين لتجد نفسك عزيزي القارئ أمام فقرة من فقرات الفنون الشعبية أو أنك أمام مجموعة من المشجعين المنتمين للأولتراس الكروي.

وبالرغم من عدم إنكاري لقوة تشجيع الأولتراس في المدرجات إلا أنني لا أنكر أيضًا أن الهتافات المحددة من الجماهير العادية في دورة الأمم الأفريقية ٢٠١٠ مثلا كانت أقوى بكثير من هتافات

الأولتراس وأن تأثيرها كان مباشرًا وواضحًا على المنتخب وذلك لخروجها دون ترتيب وبكلمات محددة مثل (يا رب - العب - مصر).

أعتقد أنك لن تختلف معي أن منتخب مصر في بطولة أفريقيا ٢٠١٠ في القاهرة لم يكن المنتخب الأفضل فنيًا، ولكن هذه البطولة شهدت تفوقًا جماهيريًا غير عادى فقد تميزوا بهتافهم القوي الذي كان يلهب حماسة لاعبينا ويقلل من ثقة لاعبي الفرق المنافسة فتغلب كفة منتخبنا ويكون النصر بإذن الله.

ولا أريد أن يتهمني البعض أنني أحرض في مقالي هذا على التظاهر والنزول إلى الشوارع، ليس هذا مقصدي تمامًا ولكن ما أريد أن أقوله أنه يجب أن نستفيد من الأحداث التي تمر علينا حتى لا تدور عجلة التاريخ علينا وتدهسنا تحت تروسها، فالتاريخ يعيد نفسه المرة الأولى على شكل مأساة، والثانية على شكل مهزلة كما قال كارل ماركس.

الهتاف كلمة .. والكلمة عندما تخرج في وقتها الصحيح تصبح أقوى من الرصاص، فإذا كان لك مطلب أو رسالة فاتبع الخطوات التالية:

- اعمل بنصيحة أحمد السقا لخالد صالح في فيلم حرب أطاليا: "يا بكوغتي .. إتنرفز بس براحة .. اتعصب بس بشويش" حتى تظل أنت المتحكم في الأمور وتظل أنت من يسوقها، (فسايق عليك النبي يا أخي ما تخليش حد يسوقك ويجرجرك للي ما يرضيش ربنا ولا يرضيك أنت شخصيًا).

- قبل أن تطلب ما لك افعل أولًا ما عليك وأتقن عملك فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه .. فأتقن عملك ليوفقك الله إلى ما تحب.

- اجعل مطلبك محددًا .. ضع مطالبك، رسالتك أو اقتراحاتك البناءة في صورة نقاط واضحة ومحددة.

- عندما تطرق الأبواب فاجعل أسلوبك في سياق اللياقة والأدب .. فمن حقك أن (تخبط ع الأبواب) ولكن ليس من حقك أن (تخبط في الحِلل).

- وفي النهاية إذا دعتك الأمور إلى الهتاف فإن (خير الهتاف ما قل ودل)، فإذا وصل بك الحال إلى التخبيط فافعل مثلما قالت الفنانة شادية للفنان عبد المنعم مدبولي في مسرحية ريا وسكينة "خبط بالعقل".

***

خرفان لا تأكل البرسيم

أعرف ما يجول بخاطرك الآن عزيزي القارئ وأن العنوان قد اتجه بك فورًا صوب أحد الميادين الثورية وتجاه أشخاص بعينهم وهذا أمر طبيعي في وقت سيطرت فيه السياسة على جميع أنحاء عقولنا وأوقاتنا.

ولكني أحب أن أطمئنك سواء كنت من المؤيدين أو المعارضين (ليك في السياسة ولا ما لكش فيها) أنني لا أقصد بعنواني هذا أي شخص بعينه كما تتوقع ولكن الموضوع مختلف تمامًا.

منذ فترة وفي أحد أيام إجازة عيد الفطر وبعد صلاة الفجر أخذت ريموت التلفزيون حتى أغلقه وأتجه إلى النوم بعد يوم طويل مليء بالزيارات العائلية والتهاني التليفونية وكتابة رسائل التهنئة (الواتسابية منها والفيس بوكّية) وغيرها، ولكني قبل أن أغلقه راودتني نفسي كعادة المصريين أن أقوم بجولة سريعة بين القنوات قبل أن أخلد للنوم.

وبالفعل بدأت في التجول السريع ما بين القنوات وإذ بقناة استوقفني منظر بها لم أصدقه فرجعت مرة أخرى لأتأكد مما رأيت، بالطبع لم أصدق ما رأته عيناي وقد توقعت أنها مجرد خيالات شيطانية ولكنها بكل بساطة الحقيقة.

الحبيب والحبيبة في أحضان بعضهما البعض عاريين تماما على الفراش (والله زمبئولكوا كده .. من غير حتى الأندر وورور)، وطبعًا أول كلمة قولتها كانت: (يا نهار أسود إيه ده؟) قلتها في داخلي طبعًا حتى لا تستيقظ (أم العيال) وطبعًا ساعتها مهما أشرح لها ولو حلفت لها ١٠٠ يمين إنها صدفة مش هتصدقني وهتخلي ليلة اللي جابوني سـ..... أحم أحم المهم، زادت دهشتي أكثر عندما وجدته فيلما عربيا والبطل والبطلة مصريان.

وبما أنني من جيل الثمانينيات فقد عرفت الفيلم فورًا، إنه فيلم من زمن (منيل بنيله) على السينما المصرية انتشرت فيه الأفلام المصرية اللبنانية المشتركة والتي اشتهرت بوجود مناظر إباحية وعري أعتقد أنه غير مسبوق في حياة السينما ولا أعرف بالضبط ما سبب انتشار هذه النوعية في هذا الوقت وما الذي أجبر فنانينَ كبارًا على القبول في الاشتراك في هذه النوعية من الأفلام الشبة جنسية.

المشكلة هنا أن هذه الأفلام أصبحت بعد ذلك تسمى بالأفلام (الممنوعة من العرض) ولا تجدها على الشاشات المفتوحة أو المجانية على الأقل .. في الحقيقة قابلني أحد هذه الأفلام مرة واحدة ولكن على قناة غير مصرية كما أن القناة كانت قد حذفت تلك المشاهد فأصبح فيلمًا عاديًا.

ولكنني هنا أمام قناة مصرية تعرض فيلما ليس له أي قصة أو معنى وتركته كما هو بجميع مشاهدة الفاضحة دون أن يطوله مقص الرقابة من قريب أو من بعيد (والله يا عم ما انضرب فيه مفك) ليعرض على الجميع كما هو بألفاظه بمشاهده ببلابيصه.

بالطبع لن أذكر اسم الفيلم والذي هو على وزن (خراف لا تأكل البرسيم) لو عايز توصل بقى للاسم الصح غير الحيوان ونوع الأكل يعني حاول مثلا في أرانب لا تأكل الجزر ، سلاحف لا تأكل الخيار وهكذا.

السؤال المهم هنا .. ما الذي يجعل قناة مصرية على القمر المصري تعرض مثل هذه النوعية من الأفلام في هذا الوقت وبنسخته الكاملة دون أي حذف لأي مشهد خارج؟

هل هو نوع من أنواع الدعاية التي تثير ضجة حول القناة فيذاع صيتها ويعرف اسمها ويزداد متابعوها وخاصة أنها ليست من القنوات

الشهيرة والمعروفة؟، أم أن هذا العمل هو لهدف ما آخر سياسي أو الشكل الجديد للحرية الإعلامية في مصر.

فى رأيي المتواضع أنه مهما كان السبب الحقيقي فإننا لا نرضى بفطرتنا وعادتنا وتقاليدنا وديننا أن تعرض مثل هذه الأفلام علنًا هكذا لتصيب من تصيب من أفراد عائلتنا ويصبح الجنس والعري والإباحية مع الوقت شيئًا معتادًا عليه يمكن تداوله على الشاشات وتصبح مشاهدة الأفلام الجنسية حرية لا نخجل منها، وبالتالي ليس من الغريب بعدها أن نجد مستقبلًا فيلم بورنو على قناة جديدة اسمها (Playboy Arabia) لتعرض لنا ما لذ وطاب وكمان بالعربي وسنحصد فضائح جنسية بالكوم والحقيقة (إحنا مش ناقصين والنت مليان لوحده).

ستظل الأفلام الإباحية عيب وحرام في أعين أبنائنا ما دامت ممنوعة من تلفزيون الدولة، وسيظل حاجز (الحرام) قائمًا داخل أنفسهم ما دام الوصول إليها عن طريق أبواب غير شرعية حتى وإن كانت تلك الأبواب سهلة الوصول إليها ولكنها في النهاية أبواب لا يتم فتحها إلا سرًّا وتحت ستار الخوف من الفضيحة. أما إذا سمحنا لتلك الأفلام وتلك المشاهد بالتواجد على سطح شاشتنا فستأخذ حيز المسموح وقُل على الأدب والأخلاق السلام.

وبالرغم من أن تلك القناة قد كفت أيديها عنا وأغلقت أبوابها منذ فترة إلا أنني هنا أناشد السيد المسؤول عن التصاريح الخاصة بتلك القنوات بأن يشدد من نظام المراقبة بحيث تُمنَع تلك النوعية تمامًا من العرض منعًا باتًا على أي قناة أيًّا كان مصدرها ما دامت منطلقة من قمرنا الصناعي (النايل سات) .. وإن كان ولا بد من عرضها فعليك أيها المسؤول أن تضمن لي أن يكون العرض في وقت تكون أم العيال والعيال كمان نايمين فيه، الله يسترك أو أن تغلقوها وتطلعوا من نافوخي، والله الموفق والمستعان.

***

الفِتنة دي .. جديدة

"غسيل في بلكونه مواطن نزلت منه ميه على غسيل في بلكونه المواطن اللي تحتيه والظاهر إنها ميه مش ولا بد يعني. .بس تتحول لإشاعات مؤسفة ويترتب عليها أحداث تصور للعالم إن في مصر فتنة طائفية"

الرئيس الراحل أنور السادات .. يونيو ١٩٨١

فاكرين زمان لما كنا بنتفرج على الفنان الكوميدي محمود عزب (عزب شو) وهو بيقلد فنان النكتة حمادة سلطان ويقول "النكتة دي جديدة" وبعدين يروح قايل نكتة قديمة وبايخة وما لهاش معنى زي مثلًا "واحد راح للبقال قاله عايز بشلن حلاوة فقاله ما عنديش وهو عنده جوه" ويضحك وتلاقينا إحنا كمان بنضحك وكل شوية يكررها ويضحك واحنا نضحك وكأننا بنسمعها لأول مرة.

هو دا بالظبط حالنا دلوقتي في بلدنا مع كل مشكلاتنا وعلى رأسها مشاكل الفتنة الطائفية اللي كل شوية تتكرر بنفس الشكل وبنفس الأسلوب وتلاقينا إحنا المواطنين والمسئولين والإعلام بنتابعها وكأننا أول مرة نسمع بحاجة زي كده، ونستغرب ونندهش ونستاء وننكر ونهتف (إيد واحدة - يحيا الهلال مع الصليب) تلك الشعارات التي أكل عليها الدهر وشرب بل وتبول أيضًا.

خليني أثبت لك كلامي وتعالى نشوف الموضوع دايمًا بيبدأ ازاي، أولًا تحصل مشكلة بين أسرتين في منطقة شعبية أو قرية غالبًا مابنكونش سمعنا عنها وعن اسمها إلا مع الأحداث وتلاقي الأسرتين دول جيران وعمر ما كان في خلاف ما بينهم قبل كده، لا طائفي ولا غيره وتحصل مشكلة عادية جدًا بينهم وبما إنهم من منطقة شعبية أو ريفية فالأهالي في المناطق دي بتحب تجامل بعضها جدًا وبيتم رفع شعار "اللي يحب النبي يزُق" وكله يجرى على الخناقة، هنا بقى دور الإعلام بتاعنا واللي طبعًا بيكون دور مشرف وعلى طول ما يكدبش خبر ويذيع ويعيد ويزيد وهو بيأكد على أسماء المتشاجرين اللي طبعًا واضح منها أنهم مسيحيين على مسلمين ويحولها لفتنة طائفية وتولّع البلد كلها، وتبدأ المسيرات في الخروج في كل مكان ويطلع عليهم الجهة التانية اللي ما حدش عارف دايمًا هما مين علشان يضربوا اللي في المسيرة وتحصل المجزرة ويتصاب اللي يتصاب ويموت اللي يموت.

الجميل بقى في الموضوع إنك تلاقي الناس اللي هما أصلًا أساس المشكلة قاعدين بعدها بيومين مع بعض قاعدة صفا ويطلعوا على التلفزيون وهما يحضنوا ويبوسوا بعض ويقولوا بكل دهشة:

"فتنة !! .. مين اللي قال إن إحنا عندنا فتنة، دا مجرد خلاف عادى واتحل وإحنا طول عمرنا حبايب وأخوات".

طب بذمتكوا مش حاجة تضحك لما تلاقي مثلًا المشكلة في قرية صغيرة في الصعيد واللي بيموتوا عند ماسبيرو، وعلى رأي عمنا بيرم التونسي:

من هفوة أو كلمة هايفة نتحمق ونقوم
نسب وندب ويدور العراك بالشوم
وكل محموق وله فرقه تقوم بهجوم
من قبل ما تعرف الظالم من المظلوم
ومنين نشوف العدل ولّا السفينة تعوم
ما دمنا فوق قلبها قاعدين لبعض خصوم
تضحك علينا الحدادي في السما والبوم

سامع واحد بيقول لي ما هو دا بيحصل علشان الناس حاسة باحتقان نفسي، هقول لك عندك حق لأ وخد عندك كمان الناس عندها احتقان في الأنف والأذن والحنجرة، آه والله العظيم أنا مش بهزر، زي ما بقولك كده، احتقان في الأنف من ريحة دماء الأبرياء

المغطى بالغاز المسيل للدموع، واحتقان في الأذن من كتر الأخبار اللي لا تسر عدو ولا حبيب عن الفتنة وغيرها، واحتقان في الحنجرة من كتر خنقته واحتباس كلمة "حراااام بقى كفاية كده" اللي لو حتى قالها بأعلى صوت مابيسمعهاش حد غيره.

يا جماعة خلينا نفتح مخنا شوية .. إحنا بجميع طوائفنا مع بعض في البلد دي وعلى أرض واحدة يعني طبيعي إننا نبقى زملاء في العمل، أصحاب في المدارس والجامعات، أصدقاء في الملاعب والأندية وجيران في المسكن، ومن الطبيعي جدًّا إن أي أصحاب أو جيران أو حتى الأصدقاء تحصل بينهم خلافات وخناقات في بعض الأحيان، عادي يعني بتحصل وحصلت معانا كلنا بصرف النظر عن الانتماءات والأديان صح ولا إيه؟ .. طيب ليه بقى بنحول العادي لفتنة تاكل الكل، ولو مش إحنا اللي بنعمل الفتنة طيب ليه بنصدق اللي بيعملها، لا ونلاقي اللي بيتكلموا باسم الدين من قلب الأحداث شوية عيال تيييييت عمرهم لا صلوا ولا دخلوا جامع ولا كنيسة.

باقولك إيه أجيبلك م الآخر - المسحيين شايفيين دايمًا إنهم مظلومين ومش واخدين حقهم في البلد دي وإنهم مضطهدين آخر اضطهاد، والمسلمين شايفين إن المسيحيين واخدين حقهم (تالت ومتلت) وإن الدولة بتيجي عليهم علشان يرضوا المسيحيين.

وبصراحة هما الاتنين عندهم حق .. أيوه عندهم حق ودا لسببين

الأول: إن فيه فرق وشرخ وتقدر تقول شارع قسم المصريين على الجنبين ودا من ساعة ما النظام القديم والإعلام بتاعنا ما مشى معانا في طريق أخويا المسلم وأخويا المسيحي، لأن الكلمة دي من وجهة نظري هي سبب التفرقة، كنا زمان واحد بدون فرق يعني لو معايا اتنين أصحابي ماكنتش باقول دا صاحبي المسلم ودا صاحبي المسيحي، لا هما الاتنين صحابي وخلاص.

طيب تخيل انت إني باقدملك اتنين أصحابي وقولت لك "دول عادل وهاني أصحابي" .. وقلتك في مرة تانية "دا عادل صاحبي المسلم ودا هاني صاحبي المسيحي" ... هاااا حسيت بالفرق؟!!!

السبب التاني: إنه ما دام كل واحد بيحسبها من وجهة نظره الخاصة وخلاص يبقى كلنا صح، ما هو ما فيش حد فينا عارف مسئولياته في البلد دي وعارف إيه اللي ليه وإيه اللي عليه، يعني غياب الوعي بالحقوق والواجبات وماحدش بيحاسب حد على تقصيره والمجتهد ما بيلاقيش اللي بيساعده ولا حتى يقوله كتر خيرك. ودا بقى اللي بيخلينا نبص لبعض علشان نعرف كل واحد عنده إيه وبياخد إيه وعايز أبقى زيه وخلاص بدون حتى ما اشتغل وأبذل مجهود وطبعًا الشماعة جاهزة بالمقولة الشهيرة "أنا مضطهد".

فلو عايزين موضوع الفتنة ينتهي عايزين حاجتين ضروري جدًّا، الأولى نبطل نغمة اخواتنا المسيحيين واخواتنا المسلمين (احنا اخوات وخلاص) ، والحاجة التانية إن الحكومة توفر كتيب صغير موضح فيه بشكل بسيط حقوق وواجبات المواطن المصري علشان خلاااااص احنا كمان كشعب طفح بينا الكيل وخلاص زهقنا على الآخر وبنقول لكل مثيري الفتنة تكملة مقولة السادات: " في ناس بينفخوا في النار وبيستخدموا الولاد الشبان الصغيرين وقود للنار دي- إحنا بنحذرهم جميعًا ".

خلوا بالكم الفتنة الطائفية بدأت تنتشر لما زادت التصنيفات بين صفوفنا والموضوع ما بقاش مسلمين ومسيحيين وخلاص، دا احنا بقينا كمان إخوان وسلفيين / ليبراليين وعلمانيين / فلول وثوريين / نشيطين وحزب الكنبة وغيرها من أنواع التفرقة اللي هتعمل لك فتن لا ليها أول ولا آخر، والفتنة الطائفية يا عزيزي عاملة زي ميكروب الإنفلونزا بتتغير وبتتطور مع اختلاف الزمن والظروف وممكن كل مرة تبقى هجمتها أكتر شراسة، فلو مخدناش التطعيم الثلاثي (العقل، الوحدة، التسامح) الميكروب دا هيتوغل وهيتمكن من جسمنا وكل مرة هيظهر لك بأشكال لا يمكن تتخيلها ولا تتخيل عواقبها وهتخليك بجد تقول على طريقة عزب شو (الفتنة دي .....جديدة).

***

الكلب اللي عض النمر

بعد صمت طويل الكلب جاك يعلنها صريحة

" أنا اللي عضيت النمر"

بعد زمن طويل قرر جاك أن يخرج عن صمته ويعلنها صريحة وعلى الملأ قائلًا: "أنا اللي عضيت النمر" .. تلك القضية التي حيرت الكثيرين بعدما رأوا النمر في الآونة الأخيرة في حالة نفسية سيئة بينما يحاول إخفاء يده التي يظهر عليها علامات جروح غائرة.

وترددت أقاويل من مصادر قريبة من النمر أن تلك الإصابات ناتجة عن عضة كلب، بينما حاول رابطة محبي النمر أن ينفوا تلك الأخبار من خلال حسابهم على الفيس بوك قائلين أن الإصابة التي في يد النمر ما هي إلا حادث بسيط تعرض له من خلاط المطبخ أثناء تحضيره لزبادي الفواكه اللي يحب يتعشى بيه، ولم يكتفوا بذلك بل أنشؤوا صفحة تأييد تحت مسمى (النمر ما يعضوش غير نمر زيه).

ولكن المفاجأة كانت من العيار الثقيل عندما انفردت (قناة الزريبة) حصريًّا بإذاعة شريط مسجل من الكلب (جاك ياما هنا ياما هناك) يعلن فيه أنه هو الذي (أرم) النمر من إيديه معربًا عن أسفه لحملات التشويه والتسفيه التي قام بها البعض ضده وخاصةً (Elnemr Lovers) أو (عاشقو النمر) كما يطلقون على أنفسهم وقال أن تلك الحملات مستهدفة للتقليل من شأن هذا الحدث الفريد الذي قام به ولكنه ظهر الآن لكي يظهر الحقيقة، كما أعلن أيضًا أنه عندما انقض على النمر لم يكن يريد أن يعضه من إيديه وإنما كان يريد عضة (من حته تانية) لم يفصح عنها ولكن النمر استطاع أن يلحق بنفسه في اللحظات الأخيرة.

ثم قامت مذيعة القناة الآنسة (لوليتا بولدوج) بتوجيه السؤال للنمر حول ما أثاره الكلب في حديثه للقناة وهل ما رواه حقيقيًّا أم هي مجرد حملة للشهرة على قفا النمر فصمت النمر للحظات ولم يرد إلا بدمعة ساخنة ثم قال بصوت مخنوق ومسرسع: "أنا مش هتكلم غير قدام المحامي بتاعي".

***

مقام سيدي أبو تريكة

يومًا كنت أشاهد برنامج يسمى (حكاية أثر) وهو لمذيعة شابة اسمها "ناريمان زين العابدين" وهذا البرنامج يتحدث في كل حلقة عن أثر من الآثار المصرية سواء فرعونية أو إسلامية وغيرها من الآثار التي تنتشر في مصر الكنانة. وما لفت انتباهي كمية الآثار الإسلامية التي يتحدث عنها البرنامج والتي كنت لأول مرة أسمع بها وهي آثار في منتهى الروعة في التصميم والعمارة، وتساءلت كيف يمكن أن يكون لدينا هذا التاريخ الجميل المجسّم بأبنية تعيش معنا وبين أيدينا ولا ندري عنها شيئًا وهنا قلت لنفسي: "لا.. لا بد أنني أتذكر أماكن إسلامية تاريخية أخرى وأعرف أماكنها جيدًا، نعم سوف أتذكر، وبعد معاناة مع النفس صرخت فرحًا: "أيوه بقى.. وجدتها وجدتها.. مقام السيدة زينب ومقام سيدنا الحسين ومقام السيدة نفيسة".. وهنا سكتُّ برهة ثم قلت في نفسي (يا لهوي، هو احنا مش عارفين حاجة من آثارنا الإسلامية غير المقابر)، نعم عزيزي القارئ المقامات (المئامات كما نقولها بالعامية) أساسًا هي مقابر أقيمت لأولياء الله الصالحين يتوجه إليها الناس الغلابة (واللي مش غلابه كمان والله) فيتضرعون إليها ويطلبون منها، وهنا تأتي وقفة.. هل التضرع لهؤلاء الأولياء حلال أم

حرام؟!! ... طبعًا أنا لست هنا لأقول الحلال من الحرام فهذه فتوى لست أهلًا لها والفتوى لها أهلها وناسها، ولكنني سوف أنظر لها من منظور آخر ألا وهو لماذا أقيمت تلك المقامات أساسًا؟ ولماذا اختفت تلك العادة والثقافة في عصرنا الحالي؟

في اعتقادي أن الفكرة لم تنطلق حتى يتقرب لها الناس بالتضرع والدعاء وأن أصحاب الفكرة لم ينسوا قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١] وإنما كانت الفكرة هنا هي تخليد ذكرى أُناس عاشوا من أجل الإصلاح والدعوة لله دون ابتغاء مصلحة شخصية.. يعني كانوا ناس بتوع ربنا، فكانت فكرة المقامات حتى يظلوا قدوةً يحتذى بها على مر العصور، ومن الواضح أن تلك الفكرة قد راقت لأهل مصر في تلك الفترة فانتشرت المقامات في كل أنحاء المحروسة.

في المنوفية وفي مدينة منوف مسقط رأسي مثلًا يوجد مقامان مشهوران جدًا وهما "مقام الشيخ زوين ومقام ستنا عائشة المخالصة" وأقول لكم بكل فخر إنني لا أعرف شيئًا عن تاريخ أصحابها. ومن الواضح أن فكرة المقامات تلك قد أثبتت فشلها.. فمعظم تلك المقامات

---

١ البقرة: ١٨٦.

لا يعرف أحد الآن عن أصحابها شيئًا وماذا فعلوا في دنياهم حتى يتم تخليدهم بهذا الشكل ومع ذلك لا نزال نتبارك بهم.

وأعتقد أن تلك العادة لها أصولها الفرعونية والتي كانوا دائمًا ما يبذلون جهدًا خارقًا في عمل المعابد والأهرامات التي أقيمت من أجل دفن الملوك فيها ولم يهتموا بحياتهم بنفس القدر والدليل على ذلك عدم وجود آثار لمنازلهم التي كانوا يعيشون بها وإنما استمرت مدافنهم فقط هي التي تناطح التاريخ والزمان.

أما عن اختفاء تلك العادة في عصرنا الحالي ففي اعتقادي أن السبب لا يكمن في اكتشافنا أنها عادة فرعونية قبيحة وأن الحي أبقى من الميت والدليل على ذلك تكالب الناس على تلك الأضرحة والتبرك بيها هذا بالإضافة إلى إعلامنا حتى الآن دائما ما يخلد ذكرى وفاة الفنانين وغيرهم ويحتفل بها ولا يحتفل بذكرى ميلادهم، ولا أعتقد أيضًا أننا تركنا تلك العادة لأننا شعب متدين بطبعه أو لأننا عرفنا أنها تدخل في نطاق الحرام فإننا لو كنا أُمّةً نترك كل ما نكتشف أنه حرام لكنا أصلح وأحسن شعوب الأرض وأكثرها تقدمًا أيضًا.

ولكن تفسيري لعدم بناء مقامات جديدة في عصرنا الحالي يعود لنقطتين:

أولًا: أنه لم يعد بيننا من يستحق أن يخلد ذكراه، فالأنظمة السابقة قد جعلت العديد من علمائنا وسفرائنا أرضًا خصبةً لكل من

يحاول التشويه والتريقة وإطلاق النكات دون أدنى حراك أو اعتراض بل الويل كل الويل لمن يحاول نصرة العلماء من حملات التشويه، تلك الحملات التي لم تكن على علماء الدين فقط بل كل العلماء والتي كان يمكننا أن نتخذهم رموزًا وقدوة، فالشريف من الوزراء أقالوه والوطني من السياسيين اعتقلوه والدؤوب من العلماء تم نفيه وهناك العديد من الأمثلة على مر الزمان، حتى إنني قد تحديت نفسي أن أجد أحدًا نقيم له مقامًا فلم أجد بعد جهد وبحث وافر غير الكابتن محمد أبو تريكة أمير القلوب الذي أسعد قلوب المصريين على مدى سنوات عديدة وأحبه الجميع واتفق على محبته العرب الذين لا يعرفون الاتفاق أصلًا وكانوا في منتهى الأدب معه فلا شتائم ضده مهما كان مستواه ولا إشارات بذيئة له مهما أضاع من فرص.

السبب الثاني هو أنه إذا وجدنا رمزًا يمكن أن نقيم له مقامًا فلن نجد له مكانًا نقيمه به أصلًا فالأنظمة السابقة جعلت الأحياء في بلدنا يسكنون المقابر ويزاحمون الأموات في مرقدهم (يعني بدل ما أعمل مقام لواحد أعمل عشة أسكن فيها أنا وأولادي أحسن).

ومن هذا المنطلق أريد أن أوجه كلمة، ولكنني لن أوجهها لأي من الأنظمة السابقة ولا للعلماء ولا حتى للأولياء أصحاب المقامات ولكنني أوجه كلمتي للكابتن محمد أبو تريكة: "بعد الحملات التي تعرضت

لها في الفترة الأخيرة اسمح لي بدون حساسية أن أسحب كلامي بالأعلى بينما أعلقه على صدر خليفتك الأصغر الكابتن محمد صلاح".

(ثواني.. بتقولوا إيه.. محمد صلاح اتحاد الكورة اتهمه بالتكبر وعدم الوطنية.. طيب أنا مضطر أعيد الرسالة تاني)

إلى الماجيكوا وأبو مكة: "يبدو أنه لا توجد شجرة مثمرة إلا ولها من يكلها قذفًا بحجارة التشكيك والتشويه، فلا تنزعجا ولا تحزنا وقولا لكل من يتعرض لكما بما ليس فيكما (اطلع من نافوخي)، وأرجو ألا تعتقدا أنني في هذا المقال أبشر عليكما بالموت فأنا أدعو لكما دائمًا أن يحفظكما الله لأولادكما ولكل من يحبونكما، وبالنسبة للمقام مش عايزكوا تقلقوا خاااالص.. علشان انتوا مقامكوا عندنا كبير".

***

على الطاولة

أخيرًا وبعد عدة محاولات واتفاقات باءت جميعها بالفشل، استطاعت إحدى المحاولات أن تكسر حاجز البعد وتعيدهن للتجمع حول الطاولة القديمة مرة أخرى بعد مرور كل هذا الوقت، سعادة الطاولة لا توصف، فقد غِبْنَ عنها طويلًا وهن اللاتي في السابق تحسبهن من طول تجمعهن الدائم عليها أنهن ملتصقات بها.

اشتاقت الطاولة كثيرًا لهن ولتجمعهن حولها، اشتاقت لضحكاتهن وحكاياتهن وأحلامهن البريئة التي طالما تجسدت على شكل قلوب تخترقها أسهم (الكيوبيد) ومعها أوائل حروف أسمائهن التي حفرنها بأيديهن على جدرانها الخشبية، تلك النقوش التي كانت تزينها وتميزها عن باقي الطاولات الأخرى الموجودة في المكان.

ها قد بدأن في الحضور وبدأ معه ظهور الابتسامة التي اعتادت عليها، تقول الطاولة لنفسها "أخيرًا عادت الأيام الخوالي .. تعالين وأشبعني من حكاويكن وأعدن إليَّ شبابي بضحكاتكن التي طالما انتظرتها".

بدأ التجمع بالابتسامة والقبل والجمل الشهيرة في هذه المواقف "إيه دا .. انتي مش متخيلة انتي وحشاني قد إيه"، "ما لك يا بت

احلويتي كدا ليه!! شكلك كدا بتجي جديد يا مجرمة"، بينما تميل إحداهن هامسة على أذن الأخرى بكلمات قليلة فترد عليها بضحكة وضربة على الكتف قائلة لها: "يا سافلة".

لا يستمر الكلام والحوار الجماعي فيما بينهن أكثر من بضع دقائق ثم يتحول إلى حوارات جانبية ثنائية وثلاثية بأصوات منخفضة لا تخلو كل منها من نميمة صغيرة على إحدى الموجودات في المجموعات الأخرى. بينما يتخلل تلك الحوارات بعض النظرات والابتسامات من أفراد المجموعات إلى الأخرى ويتبعها ابتسامة فقيرة تصحبها جملة "عاملة إيه يا قمر ... وحشاني والله".

تتابعًا تنهي كل مجموعة نميمتها ويبدأ الصمت والسكون في ملء المكان، ولمَ لا فقد خرج الموبايل من الحقائب وبدأت باقة (النت) في العمل، وسيطر السيد (واتساب) على الجميع.

إن رأيتهن من بعيد حسبتهن أصنامًا جالسة أو أنك أمام مجسم ثلاثي الأبعاد من لوحة (العشاء الأخير) للفنان ليوناردو دافنشي.

الجميع على رؤوسهن الطير ويجلسن نفس الجلسة لا يتحرك منهن غير إصبعي الإبهام اللذين يكتبان بكل مهارة على الأحرف الصغيرة المتلاصقة على الشاشة (التاتش) الخاصة بالموبايل النائم بين راحتي الأيدي المختفية تحت المنضدة والنظر ممتد صوب الشاشة.

صمت مستمر لا يقطعه غير صوت رفيع من إحدى أفراد الشلة موجهة حديثها لزميلتها المقابلة على الجانب الآخر من الطاولة: "شوفتي بعتّلك إيه؟" ثم ضحكة عالية من الطرفين (من غير نفس) ليعودا سالمتين إلى الوضع (السايلنت) مرة أخرى.

لا يستمر هذا الوضع كثيرًا فتقف فجأة إحدى الفتيات قائلة: "أوف .. أنا زهقت .. يلا بينا نروّح"، فترد الأخرى مسرعة: "آه يلا علشان أنا تأخرت قوي كدة" فتلاحقها الثالثة وهي تلتقط حقيبتها من جوارها: "أنا انبسطت قوي إني شفتكوا يا بنات ... لازم نكررها تاني"، ويكون الجواب النهائي من الجميع " آه آه لازم طبعا لازم ... إن شاء الله" يقولنها وهن يكتبن الحروف النهائية على (الواتس) قبل إغلاقه مؤقتًا.

الجميع رحل تاركات الطاولة المستطيلة وحيدة وحزينة، فلقد اكتشفت أن سعادتها في تجمعهن حولها أصبح في خبر كان، فكل منهن تعيش داخل كهف في عالمها الافتراضي، رحلن ولم يتركن لها سوى بقايا طعام بدلًا من السعادة والبهجة التي كن يملأن المكان بوجودهن.

المشهد الأخير:

أحد العاملين محدثًا زميله أثناء تنظيف الطاولة: "الطرابيزة دي عايزة تتثبت ... سامع الصوت التزييئ ده، دي زي ما تكون بتعيط".

زميله وهو ينظر إلى الطاولة: "هي الطرابيزة دي ما لها عجزت كده ليه؟... النقش اللي عليها بقى عامل زي التجاعيد" .....

دمعة - سكوووون - وحدة.

***

اطلع من نافوخي

"يااااه لو كانت دماغنا شفافة وكل واحد يقدر يعرف إيه اللي في دماغ اللي قدامه .. كنا استريحنا كتير !!!"

منذ فترة قابلني "البوست" السابق على الفيس بوك، وقد شدني كثيرًا وجعلني أفكر هل لو استطعنا أن نعرف كل ما برؤوس من أمامنا سواء بقراءتها أو بسماع أفكارهم هل كنا سنجد الراحة فعلًا وهل ستتحول حياتنا إلى الأفضل والأحسن؟ وأيهما أفضل .. أن تتحول أفكارنا إلى كلام مكتوب بينما نقوم بقراءته أم نسمع ما يقال مباشرةً؟.

أدعوك عزيزي القارئ أن تقوم الآن في رحلة تمتطي فيها حصان خيالك لكي ترى بنفسك كل حالة مما سبق ولك الحكم في النهاية.

***

سماع الأفكار

طبعًا فكرة إنك تسمع الأفكار دي اتعملت قبل كدا في فيلم لـ أحمد الفيشاوي وكان اسمه (الحاسة السابعة) ومن قبله فيلم
(What a women wants)

للفنان العالمي ميل جيبسون، المهم إن الفيلمين أجمعوا على أننا إن رزقنا بتلك القوة الخارقة فلن نكون في أحسن حالاتنا برغم المميزات التي حدثت للبطل في الفيلمين سابقي الذكر .. ولكن بطلينا كانا هما الوحيدان اللذان يستطيعان سماع أفكار الناس وإن كان نصيب ميل جيبسون في سماع أفكار السيدات فقط.

إذن تعال معي لنتخيل لو كلنا نسمع أفكار بعضنا البعض ونحن هنا نتكلم عن قدرة نفترض أنها موجودة فينا جميعًا فهل سنعيش حياةً أفضل دون تشكيك في الآخر أو وجع دماغ.

تخيلي حضرتك إنك واقفة في المترو، وطبعًا كعادة المترو فهو عبارة عن علبة سردين وحضرتك محشورة بداخلها وسامعة غصب عنك كل ما يقال من كلام وما لا يقال أيضًا (ما انتي بتسمعي الأفكار كمان بقى) وفي وسط تلك الدوشة استطعتِ أن تميزي صوت أفكار أحد المراهقين من خلفك وهو يتغزل في قوامك الفتان

وخدودك التي في نعومة شقائق النعمان، بل وقد عقد العزم على أن يتحرش بسعادتك، وقبل أن يفعل فعلته ما لبثتِ إلا وقد لففتِ تجاهه مطوحةً بيديكِ في دوران يحسدك عليه أفضل لاعبي رمي القرص لاصقة كفك على قفاه .. طاااخ.

سكوووووت تام .. الزمن يتوقف لحظات مع كل العيون اللي اتجهت نحوك بفعل صوت طرقعة كف سعادتك الحنين على قفا الشخص اللي وراكي، اللحظات دي اللي عدت عليكِي كأنها ساعات وأنتِي بتعيدي حساباتك وتفكيرك اللي اشتغل فجأة فقلتِي لنفسك "يا لهوي، هو دا اللي كان عايز يتحرش بيا؟! أكيد مش هو، أنا سمعت صوت عيل مراهق ودا راجل كبير وكمان كان ضهره ليا وماكنش باصصلى أصلا!" ولأن هذا المواطن المسكوع على قفاه بيسمع أفكارك هو كمان فيقوم بالرد عليكي قائلًا: "ولما انتي ناصحة كدا ما فكرتيش ليه قبل ما تمدي إيديكِي يا بنت الـ.... " وعلى وشك وطاخ.

وتكتشفين بعد ذلك أن الصوت الذي سمعتِه صادرًا عن شاب مراهق كان جالسًا بجوار الشباك وقال ما سمعتِه عندما سرح بخياله في (مزة) ماشية على رصيف المحطة المقابل.

طيب تخيلي أنك لست البنت الوحيدة اللي في المترو وبالطبع جميعكن سمعن نفس الكلام وتخيلت كل واحدة أن الكلام يخصها وبالتالي وفي نفس الوقت التفتت كل البنات في المترو موجهين ضربة

رجل واحد على قفا تعساء الحظ الذين كان قدرهم أن وقفوا خلف تلك الفتيات!!

سوف أترك لكِ المجال لتفكري في شكل عربة المترو بعدما حدث بينما أتوجه إليك الآن عزيزي القارئ فاستعد وهيا بنا إلى حصان خيالك.

أنت الآن في المسجد بين صفوف المصلين مؤديًا صلاة الجماعة وكما اتفقنا أنك الآن تسمع كل من حولك، فهذا يستغفر ربه على ذنب قد اقترفه وذاك يدعوه بالستر وكل من يصلي له شكواه وأمانيه، وفي وسط تلك الدعاوى تستطيع أن تميز صوت المعلم عبده أكبر أثرياء المنطقة (واللي واكلها والعة) وهو بيدعي إن ربنا يوسع عليه رزقه.

على طول حضرتك هتقول بينك وبين نفسك: "هو أنت ناقص فلوس يا معلم دا انت عندك فلوس لو وقفت فوقها تلمس السقف".

وهنا يسمع المعلم أفكارك ويرد: "وأنت مال أهلك"

أنت: "أنا مالي ازاي وانت كل دعواتك ع الفلوس .. يا عم بص لآخرتك شوية .. دا انت عندك فلوس تسد عين الشمس".

المعلم عبده: "هو انا بطلب من جيب أبوك، خليك في حالك بدل ما أعلقك على باب المحل زي الفخدة البتلو لحد ما يبان لك صحاب".

أنت: "تعلق مين يا راجل يا جاهل انت .. انت نسيت نفسك ولا إيه؟"

يتدخل الحاج عرفة جاركم: "يا جماعة اهدوا عيب كده .. دا انتوا ناس كبار وولاد حتة واحدة".

المعلم: "مانتش سامع بيقول إيه يا حج .. دا باصصلى في القرشين اللي محوشهم للعيال".

عرفة: يا معلم مايقصدش .. دا بس خايف عليك وعايزك تبص لآخرتك.

المعلم: أنت كمان هتقولي آخرتك .. انتوا بتفولوا عليا.

المهندس فؤاد مقاطعًا: "صلوا ع النبي يا جماعة دي مجرد وسوسة شيطان وهتروح لحالها".

الحج عرفة: "والله عندك حق يا بشمهندس .. أدي كلام الناس العاقلة".

أنت: "ليه يا حج .. يعنى إحنا اللي مجانيين يعني ولا إيه؟"

حوده العجلاتي: "يا جماعة صلوا ع النبي، اهدوا بقى واتقوا ربنا"

المعلم: دلوقتي بقيت تعرف ربنا يا حودة .. روح لِم بنتك الأول بدل ما هي عماله تلف على شباب الحتة أكتر ما العجل اللي عندك بيلف على الأرض.

حودة العجلاتي: " أنت بتجيب سيرة بنت حودة العجلاتي يا معلم الغفلة دا انا هانفُخك انت وابنك اللي فاكر نفسه عندليب وطول الليل عمال يعوّص للبنت م البلكونة زي الكلب اللي مش لاقي وليف".

المعلم عبدة "أنا ابني كلب يا ....."

صوت عالٍ يقطع الحديث: "السلام عليكم ورحمة الله ..... السلام عليكم ورحمة الله ،،، بوظتوا الصلاة الله يخرب بيوتكم جايين تتخانقوا في بيت ربنا يا كفرة يا ولاد تيييييييت"

طبعًا حضرتك نسيت إنك كنت بتصلي أصلًا ومافوقتش غير لما الإمام قطع خناقتكم.

دا الحال اللي وصلنا ليه بعدما استطعنا أن نسمع أفكار بعضنا البعض، فهل سيكون حالنا أفضل إذا ما أتيحت لنا القدرة على قراءة الأفكار بدلًا من سماعها؟ .. هذا ما أدعوكم إليه في المقال القادم.

***

قراءة الأفكار

عزيزي القارئ كما رأيت وقرأت في المقال السابق أن فكرة سماع الأفكار ليست بالفكرة الجيدة على كل حال وحتى خارج الأمثلة التي ذكرناها فإنك إن جلست بين ثلاثة أو أربعة أشخاص يتحدثون فلسوف تتوتر وتشعر بصداع وتفقد تركيزك، فما بالك إن كنت في فرح، كافية، نادي، مع شلة من أصحابك أو حتى في الشارع فتخيل كمية الأصوات والأفكار التي ستنهال عليك وانت سيد العارفين إن مخ بني آدم لا يتوقف عن التفكير وذلك يعني أن الزن على ودنك لن ينتهي أبدًا.

إذا فلنترك تلك الخاصية المتعبة وتعالَ معي إلى (الأوبشن) الذي سيغير وجه العالم ألا وهو قراءة الأفكار .. ما رأيك أن تكون الأفكار مكتوبة فوق رؤوسنا مثل الكاركاتير وعلينا أن نقرأ ما نحبه ونترك ما لا نحبه.

لكي نعرف إن كانت تلك الخاصية مفيدة أو غير ذلك تعالوا معي مرة أخرى وكل واحد منا يركب حصان خياله مثلما أوصانا الفنان الراحل محمود عبد العزيز في فيلم الكيت كات.

حضرتك الآن متشيك ومتأنتك وترتدي الحتة اللي ع الحبل، فأنت معزوم اليوم على الغداء في منزل مديرك، ذلك لأنك ولد مهذب ومحترم ومحبوب والأهم من ذلك إنك بتاع شغل ويبدو إن هناك ترقية في الأفق القريب فهنيئًا لك يا عم.

أنت الآن أمام بيته وطرقت الباب وبيديك علبة الشكولاتة إياها الخاصة بالزيارات، بعد السلامات والتحيات دخلت عليكم المدام كي تقدم لك مشروب التحية أو (الويلكم درينك). طبعا حضرتك ابتسمت وسلمت وقعدت مكانك بكل أدب ثم نظرت للأرض حمرة الخجل تعلو وجهك وقُلت لنفسك "أدى الستات ولا بلاش .. شياكة وابتسامة وكمان مزة ما شاء الله مش الدكر اللي أنا سايبها في البيت ببوزها اللي عامل زي مقوار البتنجان ده، لكن العسل دي يا لهوي دي عليها جوز شفايف نار ولا جسمها أووووف .. دي مانتسابش كده .. دي لازم تتـــــــــ (قاطعك برودة العصير الذي انسكب على رأسك ومتبوعًا بلكمة محترمة من مديرك على وجهك الذي أحمر ورمًا هذه المرة لا خجلًا) ثم تستفيق من الصدمة على بوز بجد، ليس بوز مراتك وإنما بوز مديرك اللي قرأ أفكارك السافلة.

أعلم جيدًا أنك لم تكن تقصد أي شيء خارج، ولكن ضع نفسك مكانه وقل لي ماذا سيكون رد فعلك مع الكلام البايخ ده

(مزة، شفايفها، جسمها، نااار) .. لا وكله كوم وكلمة (لازم تتـــــ) الأخيرة دي كوم تاني .. أعلم جيدًا أنك مؤدب (مثل كل قرائي الأعزاء) وإنك كنت ستقول "لازم تتحبس وتتدارى عن عيون الناس" بس النية مايعلمهاش غير المولى سبحانه وتعالى وهو الأعلم باللي في النفوس .. لذا أنصحك في هذه الحالة أن توصي صبحي المحامي اللي على أول شارعكم يستعد لأنك متحول للشئون القانونية، وبالمرة تخلي الواد تامر بن سعاد جارتكم يبعتلك الـCV بتاعك للشركات وهو سهران في السايبر علشان تلحق تلاقي شغل تاني لأن حضرتك مرفودٌ مرفودٌ مرفودٌ يا ولدي.

أما أنتِي يا ست الكل فمستعدة وعلى سنجة عشرة علشان النهار دا عيد ميلاد زميلتك الأنتيم، ولأنك بتحبيها فقد أخذتِي معكي هدية حلوة قوي .. (الشوز الأوف وايت) اللي كانت عجباها وانتوا بتتمشوا مع بعض آخر مرة .. أنا عارف طبعًا إنك جربتيها الأول على رجلك وبالطبع أخدتي لك بيها لفة في الشقة، وكمان طلعت شكلها تحفة عليكي ولايقة قوي على الطقم الأخير اللي اشترتيه علشان فرح بنت عمتك، بس هتعملي إيه بقى أدي الله وأدي حكمته وأرزاق.

أنتِي الآن في عيد الميلاد وانبسطتوا ورقصتوا وغنيتوا "يلا حالًا بالًا" وتفتفتوا في التورتة علشان تطفوا الشمع وكمان اتصورتوا وانتوا عاملين البوز إياه بتاع الصور .. طبعًا ما عداش عليكي النظرات

والهمسات اللي كانت واضحة بين زميلتك وبين الواد المز بتاع الشلة (واللي ممكن تعتبريه كاتب هذه السطور .. عادي يعني)، وبسرعة ترجمتي على طول إن الموضوع فيه علاقة بينهم والبت بترسم عليه تمام، ولأنك مؤدبة قررتي إنك ماتشغليش بالك بيهم وإنك لازم تدخلي المطبخ مع طنط مامتها علشان تساعديها، على طول شمرتي درعاتك وأخذتي غطس داخل الحوض وهاتك يا غسيل وانتي بتغني الأغنية العاطفية الشهيرة (بيبي شارك دو دو دودودووووو)، وفجأة سمعتي زميلتك بتقول "الله دي حلوة قوي بص يا احمد الشوز اللي جاتلي هدية .. دي هتاكل من رجلي حته" وطبعا ساعتها صوت غناكي انخفض وقولتي لنفسك: "بص يا أحمد .. أاااه بص يا أحمد بص، ما هي ناس تتمشور وتشتري وناس تلبس ويجيلها حظها لحد عندها، دا حتى ما هانش عليها تقول مين اللي جابها، آل والهانم اللي عاملة لي فيها مؤدبة بتقول له بص وبتفرجه على رجليها، إيه قلة الأدب دي، وبعدين يبص على إيه على العصاعيص اللي عندها دي آخرها تقدم بيهم في أي عصارة قصب طالبة زعازيع، أومال لو شاف رجلي أنا هيعمل إيه دا انا حتى رجلي بيضة ومدوره وتهبل مش رجلين البجع اللي عندها .. تررررن".

أعتقد أنك تعلمين جيدًا أن تلك (التررررن) هو صوت طاسة القلية اللي لبست في وشك من أم زميلتك اللي كانت واقفة وراكي

وقرأت كل أفكارك الخبيثة وانتي عايمة في بحر الغدر لأن شط الندالة مليان.

وبدون أن تقسمي، أعرف جيدًا أنه مجرد خيال وأن زميلتك أهم من كل هذا الهراء، بل وإنك ستكونين أول من يفرح لها وهاتك يا رقص ع البيست.

كما أن طنط كان رد فعلها (أووفر) قوي الصراحة، إن هذا النوع من التفكير لهو طبع في كل بنات حواء وليس خاص بك ولا يعني بالمرة إنك بتكرهي بنتها، كما أن تلك الأفكار بتنتهي بمجرد الخروج من الخيال .. فهل من المعقول إن كل بنت هتسرح شوية بخيالها تلبس طاسة قلية في خلقتها ونلاقي بنات بلدنا كلهم وشهم بقا شبه الطبق المسطح وطالع لهم زبيبة صلاة في قورتهم على شكل كلمة تيفال.

ولكن يجب أن تعذريها ذلك أنها لا تعرف ما بنيتّك التي لا يعلمها غير المولىَ، هي فقط قرأت أفكارك بدون أي (ري أكشن) على وشك يبين الكلام دا هزار ولا جد. دا حتى الشات اخترعوا له (إيموشنز) يبين للآخر ما إن كان كلامك يحمل بين طياته مقصدًا جادًا أم هزليًا.

يبدو عزيزي القارئ أن فكرة سماع وقراءة الأفكار في حد ذاتها فكرة فاشلة، وستجلب لنا من ورائها الكثير من المشاكل.

ولكن خارج تلك المواقف اللي تخيلناها ولو أمعنا التفكير قليلًا فسنجد أننا لو كنا نرى أو نسمع ما في أدمغة بعضنا البعض لكنا فقدنا الكثير من الصفات الجميلة في حياتنا، فمثلًا عمل الخير في السر والذي أمرنا به الله سبحانه وتعالى سيختفى تمامًا، لأنه لن يكون هناك سر في الدنيا كلها، ذلك لأن المخ هو مكمن الأسرار وهو الذي سيكون مكشوفا لكل خلق الله، وبالتالي سينكشف كل خير بتعمله في السر وطبعًا سيخسرك ذلك ثوابه العظيم وهتتمحي السعادة اللي بتيجي من وراه.

كمان سيفضح أمر هؤلاء الذين يُفعَل الخير فيهم، وهم أناس من الغلابة الذين لا يمدون أيديهم وتحسبهم أغنياء من التعفف.

ثانيًا: بنات أفكارك ستتعرض للتحرش والاغتصاب أمام عينيك، ومهما كنت جامدا ومسيطرا فلن تستطيع أن تفعل شيئًا ولا عزاء لبراءة الاختراع أو الملكية الفكرية، فكل الأفكار ستسرق وكل الاختراعات ستقلد وكل الكتابات والشعر والأفلام والأغاني وغيرها ستستنسخ وسنتساوى جميعًا، ومبدأ أن تكون لك الأفضلية بالطموح والتفكير سينتهي لأنه سيسرق بكل سهولة وبمجرد أن تفكر فيه.

ثالثًا: "تهادوا تحابوا" تلك المقولة التي ستختفي لأن أجمل ما في الهدية عامل المفاجأة، تلك الكلمة التي لن يكون لها محل من الإعراب، ذلك لأن الطرف الآخر سيكون على علم دومًا بما سوف

تفعله، والأسوأ لو أنك هاديت أحدًا وقرأت في أفكاره أنه يملك مثلها أو أحسن منها أو أن فلانا قد أحضر له من قبل ما هو أفضل، أو أن خطيبتك قرأت في أفكارك أنك مزنوق ومستلف تمن الهدية ويا سلام لو كانت تلك الهدية من أجل خطيبتك القديمة وأردت أن تقدمها لها بدلًا من رميها ع الفاضي وهي مش رخيصة برضه وانت عارف الباقي بقى.

رابعًا : كل ابن آدم خطاء، وطبعًا هتنكشف كل أخطاء كبرائنا وعلمائنا سواء في العلم أو في الدين وعليه انْسَ أن يكون لأحد كبير، الكل هيصغر في عين الكل والقدوة ستنهار وقُل على الأخلاق السلام، وعلى رأى المثل "لا تعايرني ولا أعايرك، الذنب طايلني وطايلك" وطبعًا زي ما انت عارف إن "اللي بيته من قزاز لا مؤاخذة ما يغيرش في الصالون".

خامسًا: "الحرب خدعة"

لا خدعة مين بقى يا ريس انسى الموضوع دا خلاص. لا خدع ولا أسرار ولا خطط أصلا .. أما عن البيه اللي بيشتغل عميل سرّي يروح يعمل كشك سجاير أحسن .. لأن الشغلانة خلاص بح يا معلم، عميل إيه وكل الناس شايفة اللي في دماغه.

سادسًا: "الخرس الزوجي" .. ودا هيزيد قوي قوي بقى، واحنا الحمد لله الأزواج عندنا ما بيتكلموش مع بعض غير أول سنة تقريبًا وبعدها كل واحد فيهم بيتكلم بالضالين، وفي تلك الحالة هيبقى كل الأسرة شايفين أفكار بعض ودا هيخلي الكلام مالهوش لازمة، ومش بس كده، دا كل الكلام اللي الأزواج محتفظين بيه جواهم علشان الحياة تكمل وعلشان خاطر الأولاد وإرضاءً لله في الطرف التاني كلها هتكون أفكار علنية وشوف بقى نسب الطلاق هتبقى قد إيه (وهي بايظة لوحدها أصلًا).

في النهاية أنا مايرضنيش أزعلك وعندي ليك مفاجأة حلوة .. أنت ممكن فعلًا تقرأ الأفكار وبطريقة سهلة وحلوة جدًا وما فيهاش أي مشكلة ... ازاي؟!! أقولك.

عارف لما تكون بتحب حد قوي ومهتم بيه، وحسيت إنه نفسه في حاجة، ومن غير ما يقول تجيبها له وتقدمها له هدية.

طيب فاكره لما زميلتك كانت قاعدة لوحدها ورحتي طبطبتي عليها وقولتي لها: "أنا حاسة بيكي" فبكت واترمت في حضنك، الله الله على الفرحة اللي كانت في عينيهم وعلى الحب اللي اتولد مابينكم لأنكم بجد في الحالة دي قريتوا أفكارهم وعرفتوا اللي جواهم وشاركتوهم من غير جرح ولا تدخل في الخصوصيات.

الخلاصة: لو اللسان ما لهوش لازمة ماكانش ربنا خلقه بس الأفكار عادة بتكون متشتتة ومتداخلة واللسان هو اللي بيرتبها وبيقول اللي ينفع يتقال ويسكت عن اللي ما ينفعش ودا طبعًا بناء على تدريبك ليه علشان الأفكار الوحشة كتير بس خلي بالك انت مش وحش ولا حاجة، كلنا كدا بتجيلنا نفس الأفكار السيئة دي، بس أنت علشان مؤدب ومحترم وبتخاف ربنا فبتتراجع عن الأفكار السيئة وبتستعيذ من الشيطان وبتبعد عنها وبتنساها. هو ربنا خلقنا كدا دايما بنواجه وساوس وفتن وأنت اللي بتختار، انت ما سمعتش الله سبحانه وتعالى لما قال في سورة الشمس ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1] خد بالك إن ربنا قال فجورها الأول وبعدين تقواها .. يعني أفكارنا الأولى غالبًا بتبقى سيئة من وسوسة الشيطان وحضرتك اللي بتعدلها وبتزكيها وعلشان كدا ربنا مش بيحاسبنا على النظرة الأولى مثلًا وبيحاسبك على عملك مش على الفكرة اللي جاتلك، بس المشكلة إن الناس مش هتشوف غير الظاهر منك وما تعرفش نيتك. وعلشان

---

[1] الشمس: ٧-١٠.

كدا أكتر ناس تعبانة وتاعبة الناس اللي حواليها هما الناس اللي مش بتبص لنفسها ودايمًا مشغولة بالتفتيش في نوايا خلق الله.

والشخص اللي زي ده أحب أقول له سيبك من التفتيش في دماغات الناس وانشغل بنفسك ونظف نيتك ولسوف تستريح وهتريحنا كمان.

في النهاية كلامي حابب أقول إن هذا الموضوع بجد عايز تفكير مننا ولازم ما نبطلش نحمد ربنا اللي خلَّى دماغتنا مقفولة على اللي فيها وخلاها ستر لينا وعلينا وإلا كنا هنلاقي كل يوم ألف واحد بيتدخل في كل شئون حياتنا وكنا هنفضل طول حياتنا نصرخ في كل واحد حوالينا "اطلع من نافوخي".

وآخر كلامي أحب أدعو لكم: "اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك .. اللهم استرنا يوم تنكشف النوايا وتشهد علينا أجسادنا وتعرض كل صغيرة وكبيرة في صحيفة أعمالنا".

اللهم آمين.

***

بعد أن انتهيت من قراءة هذا الكتاب

اذكر خمس شخصيات تود أن تقول لكل منهم "اطلع من نافوخي"

١- .....

٢- .....

٣- .....

٤- .....

٥- .....

***

أحمد الحداد

كاتب وشاعر شاب

صدر له ديوانان مجمعان باسم (صف تاني - سيجا)

FB/hadad777

m3aakom@gmail.com

AhmedM3aakom

حدادكم دوت كوم

ahmedelhaddad777

ahmed-elhadad-16

الفهرس

قبل أن تبدأ في قراءة هذا الكتاب ٣

(الفصل الأول) حكايات من الكُشك..... ٥

حمادة بتاع التليفونات ٧

أنا لست "روبوت" ١٢

أنت مش زبالة يا سعيد ٢٥

هي بقت كده ؟! ٣٢

الزوج يريد إسقاط الفلانتاين ٣٦

ملك الغابة ٤٠

أرابيز للبيع ٤٧

(الفصل الثاني) ثقافة حصري للشعب المصري ٥٥

الحلم الممنوع ٥٧

إتفرج يا سلام ٦١

حرك شفايفك علشان مش شايفك ٦٧

ثقافة البوس ٧١

عربي مكسر ٨٣

خليهم .. يمكن نتزنق فيهم ٨٦

(الفصل الثالث) كراكيب..... ٩٣

المرحومة عملتلي لايك ٩٥

حُب أكتوبر ٧٣ ..... ١٠٠

ورِيني عرض هتافك ١٠٨

خرفان لا تأكل البرسيم ١١٧

الفِتنة دي .. جديدة ١٢٢

الكلب اللي عض النمر ١٢٨

مقام سيدي أبو تريكة ١٣٠

على الطاولة ١٣٥

اطلع من نافوخي ١٣٩

سماع الأفكار ١٤٠

قراءة الأفكار ١٤٥

بعد أن انتهيت من قراءة هذا الكتاب ١٥٥

أحمد الحداد ١٥٦

الفهرس ١٥٧